

رحلة إلى أعماقهم !

نوال مصطفى



رحلة إلى أعماقهم !

نوال مصطفى



إدارة الكتب والمكتبات

غـــــلاف .... مصطفى حسين
ماكيت واخراج .... أسامة أحمد نجيب

إهداء ..

الى زهرتى حياتى

أحمد ..

وطارق ..

نوال مصطفى



« مقدمة »

انها رحلة ..

رحلة إلى أعماق هؤلاء الذين استطاعوا أن يحركوا فضولى .. ويثيروا حماسى لارتياد دائرتهم الخاصة .. واكتشاف مناطق ظلوا طويلا حريصين على ألا يكشفها الضوء .. ويظهر تفاصيلها أو ملامحها ..

رحلتى كانت الى أعماق عشرة من الشخصيات التى استوقفتنى وأيقظت داخلى رغبة كامنة فى التسلل الى « الانسان » داخل كل منهم أو منهن .. ففى حياة كل شخصية من شخصيات « الرحلة ».. كان هناك شىء ما .. مغناطيسى التأثير .. يجذبنى للغوص داخل الجزء الخاص الذى لا يظهر ابدا فى الصورة .. ولا تكشفه عدسات المصورين .. أو شاشات التليفزيون ..

وللحق أقول .. انها كانت رحلة ممتعة .. شعرت وأنا اقطع مسافاتها .. بسعادة حقيقية فى تأمل أصدقاء الرحلة .. وأحسست بشىء ما .. لا يمكن تحديده .. أو وصفه .. جزء زائد ليس موجوداً عند كل الناس .. شىء لا نعرفه .. ولكننا نشعر بهْ جيداً ونحن مع هؤلاء .. انه الموهبة .. أو العبقرية أحياناً !.

وأثناء رحلتى كنت أشعر بما يشعر به الرحالة أو المستكشفون عندما تستوقفهم أضواء تتلألأ من بعيد فى مكان كانوا يظنونه خواء .. أو عندما يعثرون فجأة على جدول ماء يجرى وسط الصحراء .. هكذا كنت أقف مبهورة أحياناً .. مندهشة أحياناً أخرى .. متأملة فى كثير من الأحيان .. عندما يفاجئنى معنى انسانى عظيم .. يأتى فى سياق جملة عابرة على لسان احدى شخصيات الرحلة .. أو أجد نفسى وجهاً لوجه مع بلورة رائعة .. دقيقة لموقف مررت به كثيرا دون أن أقبض على المعنى المختبىء فى ثناياه .. وأراه دائما وكأنه يفلت من بين أصابعى ..

لهذا فكرت أن يضم هذا الكتاب .. أحداث رحلتى الشائقة المثيرة عبر عشر شخصيات .. تعلمت منهم الكثير أثناء الرحلة .. ورأيت فى نشر ما تعلمته وما استفدته - أنا شخصيا - عندما تعرفت على تلك الرؤى الغنية .. وقابلت هذه الخبرات الحية التى من الصعب أن يجدها الانسان فى عشرات الكتب .. رأيت فى هذا كله ما هو جدير بأن يشاركنى فيه غيرى من القراء الأعزاء وأن هذا فى حد ذاته يعتبر سببا كافيا لخروج هذا العمل إلى النور ..

وأرجو أن يجد القارىء العزيز فى محاولتى المتواضعة هذه ما يفيده .. وأن أكونْ قد وفقت فى نقل تفاصيل رحلتى بصدق .. علـه يجد مع نجومها الجديد .. المفيد .. والممتع أيضا ..

وليسمح لى قارئى العزيز أن أدع شخصيات الرحلة يقدمون أنفسهم ..

* « **مصطفى أمين** » : لابد أن نفهم أن الحب لا يعيش إلى الأبد .. فالحب مثل أى مخلوق يتطور مع الزمن .. فمثلا .. الطفل وعمره سنة واحدة ، غير نفس الطفل عندما تصل سنه الى الأربعين ..

شكله يتغير .. كلامه يتغير .. وكذلك الحب يتطور شكلا وموضوعا .. وأرى أنه لو فهمت المرأة ذلك ، لكان من الممكن أن تجعل حياة زوجها عشا دائم السعادة ».

« أكثر شيء يعجبنى فى المرأة هو شخصيتها .. وأعتقد أن الشخصية لها جمال خاص .. وربما امرأة رائعة الجمال تبدو عادية جداً بعد فترة .. وفى رأيى أن العين تعتاد الجمال .. ويصبح بعد فترة شيئا لا معنى له اذا لم يكمله الذكاء .. والمرأة الذكية امرأة مغرية .. ودائماً لها جاذبيتها التى لا تخبو مع الزمن »..

« كانت صداقتى بأم كلثوم .. صداقة طويلة جداً .. بدأت منذ سنة ١٩٣٢ واستمرت إلى اليوم الذى توفيت فيه .. وكنت معجبا بها كامرأة .. فلاحة .. استطاعت أن تعلم نفسها .. وأن تصبح سيدة مثقفة .. لغتها العربية ممتازة قراءة وكتابة .. واعتبرها من أحسن النساء المصريات اللاتى كتبن ببلاغة .. وتمكن ».

* « **احسان عبدالقدوس** » : « أنا لا أعتبر نفسى متخصصا فى شئون المرأة أو أحاسيسها .. فأنا منذ بداية تكوين تفكيرى وأنا اعتبر أن المرأة شخصية موازية .. ومساوية تماما لشخصية الرجل .. وأعتقد أن ما يفرق بين المرأة والرجل هو التقاليد .. نوع من فرض القوة .. قوة الرجل على المرأة .. وبالطبع تتفاوت هذه القوة بين مجتمع وآخر .. وتختلف اختلافا كبيرا »..

« ولهذا ـ ولأننى رجل ـ أفهم وأشعر بكل ما يشعر به الرجل .. أعبر بنفس أحاسيس الرجل عن أحاسيس المرأة .. فليس كل أبطال قصصى من النساء .. ولكن بينهم أيضا رجال .. وكما أعبر عن

النساء .. أعبر أيضا عن الرجال »..

* « **محمد عبدالوهاب** » : « لم أخطط لأعمالى .. ولكنها كلها جاءت وليدة الاحساس .. فالفنان لا يخطط .. والخاطر عندما يأتى لا يأتى بميعاد .. ولكنه يداهم الفنان فى أى وقت .. الخاطر يعنى قدرا .. فكيف تتحكمين فى القدر .. والمشكلة أنه لا يأتينى إلا فى أسخف الأوقات .. فربما يأتينى وأنا أستعد لتناول غذائى .. فيفسد على يومى .. لا أتناول غذائى .. وأكون فى حالة من القلق وعدم الاستقرار .. فالخاطر هو قدر .. ولا هروب من القدر »..

* « **يحيى حقى** » : « وأذكر وأنا فى شىء من الخجل أننى رثيتها بمقالة نشرت فى مجلة الثقافة .. وأنا خجل ونادم .. لأننى أعتبر اننى اذا كنت صادقا فى حزنى عليها .. كان ينبغى لى أن أخلو إلى نفسى .. وأتدبر كيف يكون الكلام .. ولكن المقالة خرجت ونشرت .. وبعدها بدأت اتتبع أعمدة الوفيات التى تنشر فى جرائدنا وأجد السطور المكتوبة فى نعى الزوجات لأزواجهن .. أو الأبناء لأمهاتهن .. وأشعر بالمرارة لما يحدث عندنا .. فالواجب أن نقدر قيمة الحزن .. وندرك أن هذه العواطف يجب أن تكون مكتومة .. لأن نشرها على الناس يضيع جلالها .. وقدسيتها »..

* « **أحمد بهجت** » : « أعتقد أن عدم الالتصاق بالزوجة طول الوقت مفيد .. فأنا أعتبر أن بيتى هذا مكتب أو مكتبة .. أعيش فيه عزلة تامة لأنجز أعمالى .. فهناك قسوة فى العمل .. وإما أن اعمل . أو لا أعمل .. والعمل محتاج لعزلة تامة .. شيئان فى الحياة محتاجان للعزلة الكاملة .. الكتابة .. والصفاء مع النفس .. أو التأمل

الروحى .. فلا يستطيع الانسان أن يستمع لهراء العالم الخارجى ، وأن يمارس تأملاته فى الحياة .. فى نفس الوقت ..».

« ربما ما فعلته هو نوع من التحايل على الشكل التقليدى للزواج .. فأنت مثلا لو وضعت كتابا ملاصقا لعينيك .. فلن تستطيعي قراءته أو رؤية سطوره .. فلابد أن يكون هناك مسافة بينك .. وبين الشيء حتى تستطيعي رؤيته .. وهذه المسافة فى رأيى مهمة جداً فى الزواج .. حتى يبقى الاحترام والشوق وعدم رفع الكلفة »..

* « **مفيدة عبدالرحمن** » : « كنت أنزل لمقابلة جمال عبدالناصر .. ومعه بومدين أو خروشوف أو أنور السادات .. وقبل أن أغادر منزلى لمقابلة هؤلاء العظماء .. كنت أمسح حذاء زوجى بيدى .. ورغم أن بيتى كله خدم .. إلا أننى كنت أحب أن أشعره بأننى زوجته قبل أن أكون محامية مشهورة أو عضو مجلس أمة بارزا .

« قالت لى كوكب الشرق أم كلثوم ذات مرة : أتمنى أن أرى ألبوم الخطابات الخاصة بينك .. وبين زوجك .. وكان لهذا الألبوم قصة .. فعندما كنت أسافر لتمثيل مصر فى المؤتمرات العالمية سواء البرلمانية أو النسائية .. كان زوجى يحزن جدا لفراقى .. ولكنه كان يشجعنى ويدفعنى للسفر لكى أستمر فى نجاحى .. وأحمل أسم مصر خارج بلادى .. ورغم ألم البعاد .. فقد كان فخورا بى .. وكل يوم كان يرسل كل منا خطابا للآخر .. واحتفظنا بألبوم الخطابات الخاصة .. وحتى بعد وفاة زوجى .. ما زلت متحفظة بالألبومين معا .. ولا أعرف كيف أحميهما ؟ أخشى أن أموت ويصبحا فى متناول الأيدى .. وأنا

أعتبرهما شيئين مقدسين .. لابد أن يكونا فى مكان لا يصل اليه أحد .. ولكن كيف ؟» ..

* « د . عائشة راتب » : « كانت فترة الوزارة بالنسبة لى من أهم فترات حياتى .. فقد عشت حياتى قبلها بعيدا عن واقع المجتمع .. كنت فقط أدور فى دائرة واحدة .. هى دائرة العلم والجامعة والدراسة .. وعندما توليت الوزارة أخذونى فى جولات كثيرة تعرفت خلالها على قاع المجتمع .. فزرت مؤسسات الأحداث ورأيت الأطفال الذين أنجرفوا الى الجريمة والضياع .. وهم فى عمر البراءة والنقاء .. ورأيت أيضا فى هذه المؤسسات المنحرفات والساقطات .. ولا أخفى عليك أننى ظللت أسابيع طويلة فى حالة اكتئاب مما رأيت .. وكنت أبكى عندما أعود الى منزلى من شدة التأثر .. ولذلك بدأت أفكر فى حماية هؤلاء الأطفال من الضياع والتشرد والانقياد الى عالم الجريمة .. وبدأت أفكر فى حماية هؤلاء الضحايا .. لأننى لم أكن أعتبرهم مجرمين .. فاغلبهم لم يجد الجو الأسرى الذى يحتضنه ويحمى طفولته ، ولذلك ضاعوا وتشردوا .. وللأسف .. فهذه الأوضاع ليست مقصورة على مصر .. بل أنها موجودة فى كل البلاد العربية »..

* « صافيناز كاظم » : « أنا لا أنكر أننى سافرت الى أمريكا .. وأمضيت هناك ست سنوات .. سافرت من مصر وأنا مبهورة بما سوف أراه وأعرفه فى أمريكا .. وكانت هذه الفترة بمثابة جرس الانذار الذى دق فى أعماقى ليجعلنى أصحو وأعود الى ذاتى .. وطبعا استفدت من هذه التجربة .. وأهم شيء استفدته كان اننى تعلمت منهم البحث فى أعماق الحضارات .. وعمق الدراسات .. فدرست ثقافاتهم جيدا .. وبدأت

أفكر كيف أعود لأبحث فى عمق ثقافتى ..

أنا أعتقد ـ الآن ـ بأننى أصبحت أكثر تحررا بالزى الاسلامى .. متحررة من أى مؤثر خارجى .. ويعجبنى جدا أن يفكر بعض الناس فى تصميم زى اسلامى جميل للمحجبات .. وأرى فى هذا استقلالا وانسلاخا من عاصمة الموضة باريس .. لأن ما هو رذيلة عندنا .. فضيلة عندهم »..

* « **حسن شاه** » : « أنا لم أفرح كثيرا بمنصب رئيس التحرير ، فقيمة الصحفى والكاتب لا تقاس بالعمل الادارى ، وعندنا أسماء لامعة كبيرة فى مصر أهم من رؤساء التحرير ومنهم مصطفى أمين والمرحوم جلال الدين الحمامصى وأحمد بهاء الدين وهيكل .. فهؤلاء وغيرهم أكبر من منصب رئيس التحرير .. وأكثر قيمة ..».

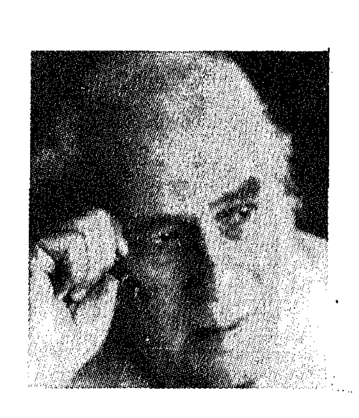
« وأنا أحب أن أكون صحفية .. لا يهمنى أن أكون رئيسا للتحرير .. لأننى أعتبر أن هذا تحصيل حاصل .. فالقيمة الصحفية هى الأهم .. والأسم الذى يحفره الصحفى طوال مشواره هو القيمة الحقيقية .. وهو فى رأيى أهم من لقب « رئيس التحرير »..

* « **الملكة فريدة** » : « الملكة فريدة آخر ملكات مصر .. وزوجة ملك مصر السابق الملك فاروق »..

« وفوجئت الملكة وهى فى عز احساسها بالنشوة .. وامتلائها بالفخر والكبرياء .. فوجئت برغم تربعها على عرش الملك فى القصر .. بأنها فقدت هذه المكانة فى قلب فاروق .. وأن قلب الملك الوسيم أشبه بفندق

كبير .. يمتلىء بالنزيلات الجميلات من مختلف الأنواع .. والألوان والأشكال .. وهى على أحسن تقدير .. لا تملك إلا الجناح الملكى داخل هذا القلب الغريب !».

نوال مصطفى



مصطفى أمين :

لا يوجد حاجز يمنع نجاح
المرأة .. إلا المرأة نفسها !


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدخول الى عالمه الخاص مثير .. مثير ..

فهو الانسان الذى يأخذك إلى عوالم مختلفة من حيث الزمان والمكان .. وأنت جالس فى مكانك ..

وهو .. الذى يسبح معك فى أعماق التاريخ بسلاسة .. وقدرة فائقة على صياغة الأحداث التى أعادت ترتيب العالم .. بمنتهى البساطة والسهولة .

وتشعر وكأنك تتابع فصول حكاية مثيرة .. شائقة .. تجعلك تتلهف إلى معرفة المزيد من أحداثها ..

إنه صاحب الحياة العريضة .. المليئة بالأحداث والأشخاص .. الحافلة بالمواقف الكبيرة .. المزدحمة بمئات المشاهير من أهل السياسة والأدب .. والفكر والفن والعلم ..

وهو الأب الروحى .. والاستاذ .. لآلاف الصحفيين المصريين الذين وصلوا إلى أعلى المناصب فى المؤسسات الصحفية ، سواء فى مصر .. أو فى البلاد العربية .. فتاريخ الصحافة الحديثة فى مصر والوطن العربى يدين له وتوأمه الراحل بتأسيس أول مدرسة صحفية

مصرية صميمة .. لتخرج أجيالا متعاقبين من الصحفيين والصحفيات .. يحملون البصمة المميزة للمدرسة العريقة ..

انه صاحب الرؤية البانورامية .. المتعمقة في نفس الوقت .. التى كونتها الخبرة الطويلة .. عندما امتزجت بالذكاء الشديد والقدرة الخارقة على كسر الحواجز بينه وبين الناس .. كل الناس .. أبسطهم وأعظمهم .. أفقرهم وأغناهم .. الملوك ورؤساء الجمهوريات .. ورجل الشارع .. انه في النهاية .. مصطفى أمين ..

ربما كان هذا الفصل هو أصعب فصول الرحلة جميعا بالنسبة لى لأكثر من سبب .. أولها .. أننى تشرفت بالعمل مع هذه الشخصية العملاقة وتحت أشرافه المباشر .. واتيح لى أن أعيش لأكثر من سبع سنوات حتى الآن قريبة منه عندما توليت مسئولية عدد من المشروعات المتفرعة من « ليلة القدر ».. المشروع الذى بدأه مع توأمه الراحل على أمين قبل أكثر من ثلاثين عاما .. عام ١٩٥٦ ..

فقد كلفنى أستاذى مصطفى أمين بتولى مسئولية باب « أسبوع الشفاء » عام ١٩٨٢ الذى ظللت أنفذه وأحرره لمدة ثلاث سنوات متتالية .. ثم قمت بعد ذلك بتحرير باب « نفسى » الذى نشر يوميا على مدى أربع سنوات بجريدة « الأخبار » وكنا نحقق من خلاله أمنيات الأطفال .. ثم أخيرا توليت مسئولية باب « لست وحدك » الذى يقوم بالتحقيقات الانسانية بالجريدة حتى الآن ..

ومصطفى أمين الانسان .. بعيدا عن الشهرة والأضواء .. شخصية متواضعة الى أبعد حد .. بسيطة جدا .. يحب النجاح ويدافع كل من يلمس لديه الاستعداد أو الموهبة الى التفوق .. ويشجعه على

التقدم الى المراكز الأولى فى طابور الحياة .. وعلى التزود بالصبر واحتمال الضربات التى توجه الى الناجحين .. حتى يثبت ذاته .. ويكتب شهادة ميلاده فى طريق النجاح .. حتى لو كلفه ذلك الكثير من المعاناة والجهد والصبر ..

من الأشياء الغريبة .. التى يندهش لها جميع من عرفوا مصطفى أمين .. أن حبه للصحافة .. ليس عشقا فحسب .. ولكنه نوع من الادمان يسرى فى دمائه .. ولا يستطيع شىء أن يوقفه .. أو يبطل مفعوله .. فتراه يأتى الى الجريدة حتى الآن .. صباحاً ومساء .. كل يوم .. حتى أيام الجمعة .. وأيام الأجازات الرسمية .. وحتى فى الأعياد والمواسم .. السبب الوحيد الذى يمنعه من الحضور إلى « الأخبار » هو مرضه .. عندما يأمره الأطباء بالبقاء فى الفراش والتزام الراحة .. ودون هذا لا يوجد شىء على الاطلاق يمكن أن يمنعه عن محبوبته التى قضى عمره وفيا لها لا يفارقها .. الصحافة ..

أحيانا أدخل مكتبه فأراه يكتب عموده اليومى « فكرة » فأجلس صامتة .. أرقبه وهو يكتب .. فأراه يمسك بريشته ـ التى لا يزال يستعملها حتى الآن فى الكتابة ـ ويغمسها فى دواية الحبر التى امامه .. وباليد الأخرى يحتضن الورق برفق .. يكتب .. بينما شفتاه تتحركان بالكلمات التى يسطرها قلمه .. دون صوت وكأنه يتحدث مع الورق والقلم حديثا خاصا .. وتحس كما لو كان هذا الجماد انسانا يبادله الحوار .. والحب أيضا .

وأتعجب وأنا أرى شخصية كبيرة مثله .. تحرص على مقابلة أبسط

الناس .. بصدر رحب .. وصبر غريب .. فأراه مثلا يحدد موعدا لطالب أو طالبة فى الأعدادى أو الثانوى لاجراء حديث معه لمجلة المدرسة .. ويحرص على مقابلة احد القراء الذى جاء ليتبرع بمبلغ جنيه واحد لـ « ليلة القدر »..

وأشاهد هذه المظاهرة اليومية التى تقام له يوميا على باب مؤسسة « أخبار اليوم » من الفقراء وغير القادرين والمعذبين .. طابور طويل يمتلىء بالنساء والشباب والأطفال .. والشيوخ .. جاءوا يلقون اليه بعذاباتهم عبر خطاب مقفل .. ويسلم كل منهم خطابه الى الكاتب الكبير .. الذى يصافحه بنفسه .. ويطمئنه الى انه سيبحث مشكلته .. ويحاول حلها ..

ورغم صحته التى لم تعد تصمد أمام المجهود العنيف .. أجده يحرص على عقد اجتماع اسبوعى كل يوم ثلاثاء .. بعد الظهر .. لمدة ثلاث ساعات مع محررى ومحررات باب « لست وحدك » ليستمع بنفسه الى تقاريرهم التى أعدوها من مختلف محافظات الجمهورية .. بعد دراسة مشكلات ومآسى أصحابها على الطبيعة .. وبعد مناقشة كل حالة مع افراد القسم .. يقرر نوع المساعدة التى يستطيع القسم أن يقدمها لصاحب المشكلة ..

إنه فى رأيى .. البعد الخطير فى شخصية الكاتب الكبير .. البعد الانسانى .. الذى يجعله قريبا دائما من نبض الناس .. وهذا ما يجعل لكلامه فى عموده اليومى « فكرة » فعمل السحر عند الناس ، فيتحول اليأس الراقد فوق قلوبهم الى طاقة أمل .. والاحباط المسيطر عليهم الى رغبة فى التحدى والانتصار على الظروف

والعقبات .. وهذا لا يمكن أن يحققه كاتب غير صادق .. فى رأيى .. فالكلمة الصادقة لها مفعول جبار فى نفوس القراء .. واعتقد أن الجملة التى تقول « أن ما يخرج من القلب .. يدخل سريعا الى القلب » جملة صحيحة تماما ..

وأجد نفسى فى حيرة .. ماذا أكتب عن مصطفى أمين .. الانسان .. تلك الدائرة التى اخترتها لتكون موضوع كتابى .. وقررت أن أحاول رغم صعوبة المحاولة ..

رأيت أن أنقل للقارىء العزيز .. بعضا من أفكاره وآرائه .. فى ايجاز .. ربما أستطيع أن أحقق جزاءا من أهداف رحلتى فى الأبحار فى عقل وقلب هذه الشخصية العملاقة .. وكانت هذه نتائج رحلتى واجتهاداتى المتواضعة ..

* قلت للاستاذ مصطفى أمين :

- كان للمرأة دور هام فى حياتك ونجاحك .. فأذكر لنا أهم هؤلاء النساء اللاتى كانت لهن بصمة واضحة فى مشوارك ؟..

- أنا أعتقد أننى مدين بكثير من أسباب نجاحى للمرأة .. فأنا

- أعتبر نفسى - مدينا لأمى بالشىء الكثير .. وأمى كانت مؤمنة ايمانا غريبا بثورة ١٩١٩ ، وبلغ ايمانها بهذه الثورة أنها اشتركت فى تهريب منشورات ..

وفى احدى المرات كانت المواصلات مقطوعة بين القاهرة والمحافظات لأن رجال الثورة قطعوا السكك الحديدية بين المحافظات والعاصمة .. ولذلك ذهبت الى بورسعيد بالمركب وكانت تحتفظ بالمنشورات تحت ملابسها وكأنها حامل .. وسافرت فعلا وقامت بتسليم هذه المنشورات

لقاضى محكمة بورسعيد فى ذلك الوقت واسمه أحمد الصاوى ، وكان أحد أعضاء الجهاز السرى للثورة . .

*** ويتوقف الكاتب الكبير وكأنه يقرأ فى كتاب الماضى .. وتغطى وجهه ابتسامة طفولية .. ثم يستكمل ذكرياته قائلا :**

ـ موقف آخر لا أنساه لأمى ، انها فى عام ١٩٢١ وقعت قرارا بتأييد موقف سعد زغلول بمقاطعة البضائع الانجليزية . . وظلت إلى أن ماتت بعد هذا التاريخ بخمس وأربعين سنة ـ تطبق هذا القرار بينها وبين نفسها . .

فهى مثلا رفضت أن تسافر انجلترا لزيارة أخى ـ على أمين ـ عندما سافر ليكمل تعليمه فى انجلترا ، ولم تذهب إليه مطلقا طوال فترة اقامته هناك . . أيضا عندما كانت تسافر أمريكا كانت ترفض السفر عن طريق لندن ، وكانت تصر على السفر عن طريق ايطاليا أو فرنسا أو ألمانيا . . ولم تدخل انجلترا مطلقا ولا حتى (ترانزيت) . . ليس هذا فقط ، بل انها مانعت كثيرا فى سفر على إلى هناك ، ولم توافق إلا بعد أن استعان أبى بشيخ الأزهر ـ وكان فى ذلك الوقت الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى ـ الذى أفتى بأن سفر على لا يخل بالقرار الخاص بمقاطعة كل ما هو انجليزى . . ولكنها اشترطت ألا يحضر على أى هدية أو ملابس من هناك . .

ـ وأصبحت فلاحة :

أما المرأة الثانية التى أثرت فى الكاتب الكبير مصطفى أمين فهى أم المصريين صفية زغلول ـ والتى كان لها تأثير مباشر عليه فى طفولته (فمصطفى أمين وعلى أمين) تفتحت عيناهما فى منزل سعد زغلول زعيم

ثورة ١٩١٩ .. فقد كانت والدتهما أبنة أخت الزعيم الكبير .. وكانت تقيم فى منزله مع ولديها مصطفى وعلى أمين حتى بلغا سن الثالثة عشرة ..

*** يقول مصطفى أمين عنها :**

- إنها شخصية قوية جدا وقد رأيت فيها نوع المرأة الذى أحبه .. فهى مطيعة جداً لزوجها .. ولكن اذا نفى هذا الزوج تحولت هى الى رجل وقادت الزعامة كأنه موجود .. وصمدت وحاربت وخطبت فى الناس .. كل هذا يحدث اذا تعرض الزوج لمحنة .. أما مع زوجها - فى وجوده - فهى امرأة عادية جدا لدرجة انها كانت تطلب من السفرجى عند تقديم الأكل أن يقدم لسعد زغلول أولا .. وكانت فى كل صور الفرح تقف هى ويجلس سعد زغلول على الكرسى ..

*** وأستوقف كاتبنا الكبير متسائلة :**

- وهل كانت صفية زغلول من عائلة رجعية ؟.

- أبدا .. لم تكن كذلك وهذا هو الغريب فى الأمر .. كانت مربيتها لبنانية ووالدها كان رئيسا للوزراء لمدة ١٤ سنة .. وكان قبل ذلك وزيرا لمدة ١٦ سنة .. ومع ذلك عندما تزوجت فلاحا - يقصد سعد زغلول - أصبحت فلاحة مثله ..

*** ويستطرد قائلا :**

- صفية زغلول كان فهمها للحرية غير مفهوم الجيل الحالى لها .. فعلى سبيل المثال أذكر أنها فى عام ١٩٣٥ أرسلت خطابا لأمى مغلفا بالسواد من كل جوانبه .. ثم فتحنا الخطاب ، فإذا كل الصفحات داخل برواز أسود .. اعتقدنا كلنا أن أحد أفراد العائلة قد توفى .. وفى النهاية اكتشفنا أن واحدة فى العائلة طلقت ..

أيضا كانت صفية زغلول وأمى تصفان البنت « المتربية » بأنها البنت التى لا تضع رجلا على رجل ولا تشرب سيجارة .. ودى كانت صفات البنت المهذبة ..

* **ويضحك مصطفى أمين .. ثم يقول :**

ـ أذكر أيضا اننى لم أقل لأمى « أنت » ، لم أقل لها إلا « حضرتك » ولا أتذكر أننى جلست وهى واقفة ، حدث هذا حتى ماتت وكنت وقتها صاحب أخبار اليوم ..

■ صديقة العمر :

وتأتى السيدة الثالثة التى كان لها بصمة واضحة وأثر عميق فى نفس كاتبنا الكبير .. انها كوكب الشرق أم كلثوم التى يعتبرها « صديقة العمر » التى وقفت معه فى احلك اللحظات ، وكانت مواقفها معه أفضل من كل الرجال ..

* **يقول عنها :**

ـ كانت صداقتى لأم كلثوم صداقة طويلة جدا بدأت منذ سنة ١٩٣٢ واستمرت الى اليوم الذى توفيت فيه .. وكنت معجبا بها كامرأة فلاحة استطاعت أن تعلم نفسها .. وأن تصبح سيدة مثقفة .. لغتها العربية ممتازة قراءة وكتابة وأعتبرها من أحسن النساء المصريات اللاتى كتبن ببلاغة وتمكن ..

* **ويحكى مصطفى أمين عن انطباعه عن « صديقة عمره » كوكب الشرق أم كلثوم فيقول :**

ـ أخرجها أهلها من الكتاب بعد شهر واحد لأنهم كانوا فقراء ولم يستطيعوا أن يدفعوا لها قرش صاغ مصاريف الكتاب وقالوا إن أخاها

« خالد » أولى منها بالتعليم .. فكانت تجلس بانصات شديد تستمع الى والدها وهو يراجع لأخيها « خالد » الدروس .. فتحفظ كل شيء .. تعلمت القراءة والكتابة .. وتفوقت على أخيها وكانت أكثر تعليما وثقافة منه ..

فرغم أنها لم تدخل مدارس ولا كتابا ولا تتلمذت على يد مدرسة خاصة .. الا أنها قرأت كتاب الأغانى كله وقصائد كبار الشعراء واختارت الممتازين فى كل فرع من فروع المعرفة والثقافة ليكونوا الصحبة المنتقاة من أصدقائها .. يعنى كانت تجمع بين أصدقائها أحسن طبيب وأحسن مهندس وأحسن كاتب وأحسن صحفى وأحسن عازف وأحسن سياسى ..

ـ ملكة النحل :

*** ويستطرد قائلا :**

ـ كانت فى رأيى مثل النحلة تأخذ من كل وردة رحيقها .. وهذا فى اعتقادى هو الذى صنع أم كلثوم .. فلم تكن مجرد امرأة ولكنها كانت مؤسسة . واعجابى بها كان نابعا من انها استطاعت أن تكافح وأن تتغلب على الفقر والجهل .. واستطاعت أن تحفر لنفسها هرما كبيرا شامخا بين العظماء .. وأن تكون السيدة الأولى فى مصر دون أن تتزوج ملكا أو رئيس جمهورية ..

*** وما هى أهى المواقف التى لا تنساها لأم كلثوم ؟.**

ـ فى الحقيقة هناك الكثير من الوقفات الشجاعة التى أذكرها لهذه السيدة العظيمة .. أذكر منها مثلا .. أنها فى عام ١٩٤٢ أقنعت النحاس باشا بالعدول عن اعتقالى وكنت وقتها رئيسا لتحرير مجلة الاثنين .. وقالت له « إنك بهذا العمل ستذكر الناس به كل يوم ، والأفضل أن تتركه يكتب

كل أسبوع . واقتنع النحاس وألغى قرار اعتقالى . .

والشيء الآخر الذى أذكره لأم كلثوم أنها كانت متحمسة جدا لاصدار أخبار اليوم . . وكانت كلما قابلتنى تؤكد على أمنيتها بأن تكون هناك جريدة مصرية كبيرة . . وكانت تشجعنى كثيرا لاصدار هذه الجريدة . . ولذلك . . فعندما صدرت أخبار اليوم كانت أول من زار المطبعة . . وذهبت اليها فى منزلها لأعطيها أول نسخة خرجت من المطبعة . .

*** موقف آخر يسرده الكاتب الكبير .. فيقول :**

- فى يوم من الأيام غضبت احدى الحكومات من أخبار اليوم فاتصل وزير المالية بكل البنوك لايقاف القرض عن الجريدة حتى لا تستطيع أن تصدر . .

وكانت الجريدة تعتمد على قروض البنوك لانها كانت تحتاج الى رأس مال ضخم . . وكان معنى كلام وزير المالية أن أخبار اليوم تقفل . . فى هذا اليوم جاءتنى أم كلثوم وقالت لى . . عندى لك مفاجأة سوف أعطيك المال الذى يلزمك لاصدار جريدتك . . هل يكفيك مائة الف جنيه . . قلت لها . . لا أنا لا أحتاج لأكثر من سبعة عشر ألف جنيه . . قالت وأنا مستعدة . . اتفضل . .

*** ويسرح مصطفى أمين فى أعماق الماضى ليلتقط ذكرى معينة يتوقف عندها ويحكيها .. فيقول :**

- فى يوم من الأيام بينما كنت سجينا . . جاءنى « شاويش » السجن وقال لى أنت مطلوب فى المستشفى . . اندهشت وذهبت الى المستشفى فقال كبير أطباء السجن لى اخلع جاكتتك ونام على الترابيزة . . فنمت . . فمال على وقال لى . . أم كلثوم بتقولك انها حتغنى أغنية فيها كام بيت شعر

بتهديـها لك . . . ثم اعتدل بسرعة وقال لى بلهجة صارمة وشـخط . . قـم واذهب إلى زنزانتك . .

* **ويضحك مصطفى أمين قائلا** : وفعـلا غنـت أم كلثـوم فى تلك الليلـة « الأطلال » وتضمنت البيت الشهير « أعطنى حريتى . . أطلق يدى » . .

* **ونأتى فى حديثنا الممتع مع الـكاتب المعـروف الى الـكلام عـن دور السيدة ايزيس طنطاوى . . ـ فى حياته وكيف أثرت فيها . .**

* **ويقول** : لا أنسى فضل زوجتى التى قامت بتهريب الخطابات التى كنت أكتبها لأخى على أمين من داخل السجن (حيـن كانـت الـكتابة ممنـوعة وممنوع دخول أى ورقة أو قلم الى الزنزانة) . .

* **قاطعته قائلة :**

ـ ومتى تعرفت عليها ؟

ـ فى السجن .

ـ كيف ؟.

ـ قصة غريبة فعلا . . فرغم انها عاشت فى بيتنا ـ فهى ابنة عمتـى ـ إلا انى لـم أرها مطلقا قبل دخولى السجن . . كنـت أقضى يـومى كلـه فى الجرنال فانزل من البيت وهى نائمة وأعود فى المساء فتكون قـد نـامت . . وعندما دخلت السجن كانت بناتى يوصلن الأكل الى فى أيـام الـزيارات . . وفى احدى تلك الزيارات شعرت أنهن بحاجة الى تغيير هذا الجـو الـكئيب فطلبت منهن أن يسافرن الى على أمين فى انجلترا . .

وفى هذه الأثناء فكروا فى العائلة من الذى سيقوم بمهمة توصيل الأشياء التى احتاج اليها فى السجن . ووقع الاختيـار عليهـا . . وكانـت متحمسـة لقيامها بهذا الدور . . ولم تكتف بهذا فقط ، بـل قـامت ـ رغـم الـرقابة

الشديدة ـ بتهريب كل الخطابات التى كانت عبارة عن مقالات وقصص ، وهربتها الى انجلترا الى على أمين الذى أعاد تصديرها الى سعيد فريحة لينشرها فى مجلة « الصياد » اللبنانية ..

وهكذا نشأت قصة حب عميقة بينى وبينها وأنا فى السجن وقررت أن أتزوجها فور خروجى منه .. وهذا ما حدث ..

*** وأنتقل مع كاتبنا الكبير الى منطقة أخرى فى حوارنا لأسأله : ما شعورك وأنت ترى أو تسمع عن نساء اخترن مجالات صعبة ليعملن بها ؟**

*** ابتسم قائلا :**

ـ أرحب بهذه السيدة جدا وأشجعها وأحترمها وأحترم أيضا الزوج الذى يترك لها الحرية لاختيار مجال صعب ..

*** ويستطرد قائلا :**

ـ وأعتقد أننى بذلت جهودا ضخمة من أجل المرأة فى بلادى .. وأعتقد ايضا اننى كنت وراء تعيين أول وزيرة فى مصر ..

*** كيف ؟**

ـ خضت أولا حربا طويلة فى الاربعينات على صفحات أخبار اليوم ، طالبت فيها باعطاء المرأة حق الانتخاب ، وقامت قائمة أئمة المساجد الذين اتهمونى بالكفر والالحاد وأصدروا فتوى ان كل من يلمس جريدة أخبار اليوم فهو كافر ..

ولم أيأس من مطالبتى هذه .. وزاد توزيع أخبار اليوم ، ولم ينقص ، بل تضاعفت أرقام التوزيع رغم الفتاوى والاتهامات الظالمة .. وبعد ثورة يوليو قلت لجمال عبدالناصر أن ثورة سنة ١٩١٩ رفعت الحجاب عن المرأة

وأدخلتها الجامعة .. ورأيى أن تمنح ثورة يوليو للمرأة حق الانتخاب .. فتردد وقال : ولكن الرأى العام سيثور لهذا ، وقرر أن يرجىء هذه الخطوة قليلا ..

وفى احدى زيارات الرئيس تيتو لمصر لاحظت مدام تيتو أن جمهور المستقبلين الذين يصطفون لاستقباله على الطريق يخلو من أى سيدة .. فسألت الرئيس جمال عبدالناصر مستغربة .. هل حبستم كل نساء مصر ؟ أنا لم أر إلا رجالا .. وبعد هذه الزيارة قرر عبدالناصر منح المرأة حق الانتخاب ..

*** ويتوقف الكاتب الكبير قليلا ثم يقول :**

ـ تجربتى أن المرأة نائبة ممتازة فى البرلمان .. فقد عايشت وأيدت أمينة شكرى ، وراوية عطية .. فقد نجحت المرأة فى تمثيل الشعب ، ووقفت جريدة أخبار اليوم خلف هؤلاء النائبات بشدة فى المعارك الانتخابية .. ودخلن المجلس ونجحن وأثبتن جدارتهن بمقعد البرلمان ..

*** حدثنا عن دورك فى تعيين أول وزيرة مصرية ؟**

ـ بعد دخول المرأة الى البرلمان قلت لعبدالناصر : لقد دخلت المرأة البرلمان ونجحت .. فلماذا لا يكون لك الفضل فى تعيين أول وزيرة مصرية ؟.

وتعجب عبدالناصر ولكنه لم يرفض الفكرة .. وظللت أردد عليه هذه الفكرة فى مناسبات مختلفة الى أن اقتنع بها .. وفى احدى الجلسات مع المشير عبدالحكيم عامر قال له عبدالناصر انه قرر تعيين وزيرة .. فخلع عبدالحكيم عامر حزام البدلة العسكرية (الأيش) وحلف (بالطلاق بالثلاثة) انه لو دخلت مجلس الوزراء سيدة فسيكون خارجا منه .. وظل

القرار مجمدا حتى خرج عبدالحكيم عامر من الوزارة لتدخلها المرأة . .

*** ويستطرد مصطفى أمين قائلا :**

ـ فى يوم من الأيام اتصل بى جمال عبدالناصر وقال لى . . أنت عندك أحسن أرشيف فى مصر فى أخبار اليوم . . أجمع لى معلومات كاملة عن أفضل عشر سيدات فى مصر يصلحن لتولى منصب وزيرة . . وأرفق مع هذه المعلومات صورهن . .

*** ومن هن السيدات العشر اللاتى اخترتهن ؟**

ـ اخترت أمينة السعيد وسهير القلماوى وأم كلثوم وعائشة راتب ومفيدة عبدالرحمن وحكمت أبوزيد وخمسا آخريات لا أذكر أسماءهن الآن . . وكان على أن أرتبهن حسب الأولويات ، وكانت حكمت أبوزيد رقم عشرة فى القائمة . . وبعد أيام ظهر خبر تعيين أول وزيرة فى مصر ، واذا بى أجدها حكمت أبوزيد آخر واحدة فى القائمة . . سألت عبدالناصر لماذا اخترت آخر اسم . . قال : لانها وحشة !.

وتم تعيين الدكتورة حكمت أبوزيد أول وزيرة مصرية للشئون الاجتماعية والتأمينات . .

*** ومن قصة تعيين أول وزيرة فى مصر والخلفيات المثيرة وراءها . . نخرج مع الاستاذ الكبير الى المجال العالمى فنسأله عن أهم الشخصيات النسائية العالمية على المستوى السياسى أو الاجتماعى أو الفنى اللاتى لا تنساهن ؟**

*** ويسترجع مصطفى أمين ذكرياته الطويلة التى امتلأت بها حياة عريضة حافلة . . ثم يقول :**

ـ أذكر مسز بندرانيكا وأنديرا غـاندى ومسـز روزفلـت (زوجـة رئيس امريكا الأسبق) . .

*** ويشرح أسباب اعجابه بهن فيقول :**

ـ مسز بندرانيكا كانت زوجة أول زعيم سياسى قتل زوجها . . فـأخذت مكانه واستطاعت أن تملأ هذا المكان . . وقد التقيت بها شخصيا ، وعندما رجعت الى مصر أرسلت لى هدية عبارة عن شاى سيلان الشهير ، والغريب أنه رغم شهرته العالمية الا انه لم يعجـب عبـدالحليم حـافظ والملحـن كمال الطويل عندما قدمته لهما وقالا : والله الشاى المصرى أحسـن ألف مـرة . . وكان الشاى المصرى يومئذ مخلوطا بنشارة الخشب !.

أما مسز روزفلت . . فقد قابلتها عندما سافرت مع والـدى وكان وزيـرا مفوضا فى امريكا . . وأعجبنى فيها اهتمامها البالغ بقضـايا المرأة وانهـا سـيدة نشيطة جدا ولكنها غير جميلة بالمرة . . والغـريب أن زوجهـا كان جميـلا . . ولكن ذكاءها كان حادا فغطى على قبح شكلها . .

*** ويسترسل الكاتب الكبير فى سرد ذكريـاته مـع النسـاء العـالميات الشهيرات . . فيقول :** وعرفت أيضا انديرا غاندى ، وأعجبـنى فى أنـديرا أنها كانت متقمصة روح نهرو لدرجة أنها من فرط اعجـابها بـه كانـت تحـب تقليده فى كل شىء . . وكانت ذكية جدا وخطيبة ممتازة باللغة الانجليزية . .

*** ولماذا فى رأيك قتلت أنديرا غاندى رغم أنها زعيمة عظيمة ؟.**

ـ أعتقد أن هذا ثمن العنف . . فقـد كانـت تتمـيز بـالعنف بعض الشىء .

*** وهل تعتقد أن المرأة الحاكمة أعنف من الرجل الحاكم ؟.**

ـ كان هناك قول مأثور لامـبراطور ايـران السـابق هـو : إن المرأة اذا

حكمت أصبحت مفترسة ..

*** ويضحك مصطفى أمين قائلا :**

- وتصادف فعلا أن بعض النساء اللاتى حكمن كن مفترسات .. فجولدا مائير كانت من أعنف رؤساء الوزارات فى اسرائيل .. وكذلك زوجة ماركوس وكليوباترا وشجرة الدر التى قتلت زوجها بالقباقيب !.

*** معروف عن الكاتب الكبير مصطفى أمين ايمانه الشديد بالمرأة .. وتشجيعه لدورها الفعال والهام فى تطوير حركة المجتمع .. فكيف يرى مصطفى أمين حجم هذا الدور الآن ؟.**

- يعود بمقعده الكبير إلى الوراء ويطرق فى تفكيره ثم يبدأ فى الحديث بصوت هادىء عميق :

- المرأة هى نصف المجتمع .. والمجتمع هو رجل وامرأة .. فى بعض الأحيان يكون دور المرأة تحت الأرض ، وهذا ما يحدث فى بعض البلاد العربية ..ولكن فى بلاد أخرى يبرز هذا الدور ويكون فوق الأرض ..

*** ويستطرد قائلا :**

- ورغم كل الحواجز والقيود التى يحاولون وضعها أمام المرأة العربية الا أنها موجودة ودورها ملموس ولا يمكن انكاره .. ويكفى انها تصنع الرجال .

- صينية من ذهب :

*** ما أهم عيوب المرأة المصرية فى نظرك ؟**

- فى رأيى أن عيوب المرأة المصرية .. أنها تنتظر أن تأخذ حقوقها على صينية من ذهب .. أو انها تنتظر أن تصعد الى أتوبيس الحياة فيقوم الرجل ويعطيها مقعده .. وأنا أعتقد أن هذا الزمن مضى .. ولم يعد

الرجال يقفون ويتركون مقاعدهم للسيدات .. فيجب على المرأة أن تطالب - مثلا - بحقها فى الانتخابات وأن تزاول هذا الحق .. ولا تفعل مثلما فعلت المرأة المصرية التى نالت هذا الحق ، ثم وضعته فى الدولاب ، ولم تزاوله بفاعلية حتى الآن ..

* **ويسكت قليلا ، ثم يقول :**

- لو كانت المرأة المصرية قد زاولت هذا الحق الذى اكتسبته وذهبت الى صناديق الانتخابات .. ولو كانت انتخبت النواب الذين يؤيدون قضايا المرأة ، لكانت انتهت هذه القضايا وحلت من زمان ..

* **ما النصيحة التى تهمس بها فى أذن المرأة المصرية والعربية لكى تحصل على حقوقها كانسانة قبل أن تكون زوجة وأما ؟.**

* **ترتفع نبرة صوته فى انفعال ثم يقول :**

- الأمومة تمثل ٩٠٪ من الحياة لأنها عملية خلق .. وكل ما ينقص المرأة بعدها لا يتعدى ١٠٪ بما فيها عملها واستقلالها الاقتصادى ..

* **ويستطرد قائلا :**

- وعندما تستطيع الأم أن تنجب أطفالا أحرارا ستكون هناك حرية وسيكون هناك حقوق للانسان ..

* **ويتوقف مصطفى أمين لحظة ثم يقول :** كانت المرأة الانجليزية زمان عندما تأخذ ابنها الى سريره لينام كانت تغنى له أغنية معناها « صلى للامبراطورية ».. وأنا أعتقد أن المرأة العربية يجب أن تردد على مسامع ابنها وهى تنيمه أغنية « تذكر حقوق الانسان ».. وبهذا يمكن أن يكبر الصبى مؤمنا بحقوق الانسان .. ومن ضمن هذه الحقوق حقوق المرأة ..

■ وزيادة :

*** قاطعته قائلة : ولهذا فإن الدول الديمقراطية التى تحترم حقوق الانسان تحترم حقوق المرأة ..**

*** قال :** بالطبع .. المرأة فى البلاد الديمقراطية واخدة حقها وزيادة .

*** شجعت كثيرات .. ودفعتهن الى طريق النجاح .. اذكر لنا بعض هؤلاء اللاتى اثبتن جدارتهن بثقتك وتشجيعك واللاتى تعتز بما حققن ؟**

*** يضحك مصطفى أمين .. ويقول :**

ـ فى الحقيقة كل محررة فى الصحافة أعتز بها .. وهناك كثيرات حققن نجاحات باهرة منهن أمينة السعيد التى وصلت الى منصب رئيس مجلس ادارة مؤسسة صحفية كبيرة هى دار الهلال .. ومى شاهين .. وخيرية خيرى وحسن شاه ونعم الباز ..

*** ويسكت قليلا ، ثم يقول :**

ـ هذا السؤال محرج جدا .. الآن هناك مئات الأسماء التى لا يتسع الوقت لذكرها .. لكننى أعتز بكل امرأة ناجحة ..

*** وهل تعتقد أن المرأة نجحت فى عالم الصحافة ؟ وهل وصلت الصحفية المصرية أو العربية الى ما وصلت اليه الصحفيات الأمريكيات والأوربيات من نجاح .. أم أن ظروف المجتمع الشرقى تحد من إنطلاق المرأة الصحفية ؟..**

ـ لا يوجد حاجز يمنع نجاح المرأة إلا المرأة نفسها .. يكفى أن أقول لك انه منذ أكثر من ستين سنة كانت منيرة ثابت صاحبة أكبر مجلة أسبوعية منتشرة فى مصر فى ذلك الوقت .. وكان اسمها مجلة الأمل ،

وصاحبة جريدة يومية تصدر باللغة الفرنسية فى مصر فى ذلك الوقت .. وروز اليوسف ايضا كانت صاحبة المجلة الوحيدة فى الوطن العربى التى تحمل اسمها ثم صاحبة جريدة يومية اسمها روز اليوسف ايضا .. والأمثلة عديدة لنساء مصريات وعربيات عملن فى الاقتصاد ، وسيدات أعمال ناجحات جدا منهن من تدير أعمالا بملايين الجنيهات .. وكذلك هناك الكثيرات من أساتذة جامعات وطبيبات ومهندسات .. باختصار أقول أن المرأة نبغت فى كل الميادين ..

*** ولكنك كتبت كثيرا فى مقالاتك اليومية « فكرة » بجريدة الأخبار أن المرأة الآن لم تعد صامدة كما كانت فى الثلاثينات والاربعينات .. فهل تقوقعت المرأة المصرية على نفسها ولم تعد قادرة على مواجهة التحدى ؟.**

ـ رأيى المرأة المصرية تقوقعت مثل الرجل المصرى تماما .. فكلاهما من أولاد الخائفين .. ونتاج ثلاثين عاما من الخوف والمشانق والسجون والمعتقلات .. هؤلاء أولاد الذين عاشوا وكابدوا الظلم والطغيان .. ولذلك فمن الطبيعى أن يكونوا خائفين .. وليست المرأة هى المستسلمة المترددة وحدها ، بل أن الرجل نفسه أصبح يشاركها نفس المشاعر ..

*** هناك عبارتان شهيرتان احداهما تقول : « وراء كل عظيم امرأة » والأخرى تقول : « فى أى جريمة أبحث عن المرأة » فما رأيك ؟.**

ـ أنا رأيى أن وراء كل رجل امرأة .. اما ان تدفعه الى الامام واما أن تجره الى الوراء .. أما حكاية أن وراء كل جريمة امرأة فأنا لا أعتقد أن وراء كل جريمة امرأة .. فهناك جرائم كثيرة لم تكن وراءها امرأة ..

▫ لا يعيش :

*** يقولون .. أن الرجل يظل يتكلم مع خطيبته حتى يجمعهما سقف واحد هو سقف الزوجية .. وهنا يصاب الزوج بمرض الصمت والاكتئاب .. فما رأيك ، وهل من الممكن أن يستمر الحب بعد الزواج ؟.**

ـ أعتقد أن هذا ممكن بشرط أن تفهم المرأة أن الحب لا يعيش الى الأبد .. فالحب مثل أى مخلوق يتطور مع الزمن .. فمثلا الطفل وعمره سنة واحدة غيره عندما يصل الى الأربعين سنة .. شكله يتغير .. كلامه يتغير .. وكذلك الحب يتطور شكلا وموضوعا ، وأرى أنه لو فهمت المرأة ذلك لكان من الممكن أن تجعل من حياتها الزوجية عشا دائم السعادة .. وأنا أحب زوجتى الآن أكثر كثيرا من يوم أن تزوجنا !.

وفى رأيى أن المرأة العاملة تستطيع أن تقضى على الملل فى الحياة الزوجية .. لانها تستطيع أن تجدد فى نوعية الأحاديث التى تدور بينها وبين زوجها .. وبدلا من أن ينحصر كلامها كل يوم عن البيت ومشاكل الأولاد وخناقات الجيران .. يصبح فى الامكان الكلام عن مشاكل العمل .. وبهذا تصبح المرأة العاملة أقدر على قتل الملل ..

*** ومن المرأة المثالية فى نظرك ؟.**

ـ هى المرأة الصامدة ألتى تقف وراء الرجل فيشعر أنها عموده الفقرى .. وأحب المرأة الصابرة والمرأة التى تحتمل .. لأن الزواج السعيد فى نظرى هو قوة احتمال .. والذى يحتمل أكثر يكون أسعد .. واعتقد أن المرأة المصرية والعربية هى أقوى امرأة فى قوة الاحتمال .. ولا يوجد لقوة احتمالها مثيل فى العالم ..

ـ أفضل الشخصية :

*** أيهما تفضل .. المرأة الجميلة أو المرأة الذكية ؟.**

ـ أكثر شيء يعجبنى فى المرأة هو شخصيتها .. وأعتقد أن الشخصية لها جمال خاص .. وربما امرأة رائعة الجمال تبدو عادية جدا بعد فترة .. وفى رأيى أن العين تعتاد الجمال ويصبح بعد فترة شيئا عاديا اذا لم يكمله الذكاء .. والمرأة الذكية امرأة مغرية ودائما لها جاذبيتها التى لا تخبو مع الزمن ..

*** كيف تختار بطلات رواياتك ومن هى أحب بطلة منهن إلى نفسك ؟.**

ـ لم أذكر فى قصصى أبدا أسماء حقيقية ، وكل أحداث القصص أحداث حقيقية .. ولكن الأسماء دائما أختارها من صفحة الوفيات .. وأحب أن أقول لك اننى أحب كل بطلات رواياتى فى وقت كتابة القصة .. واندمج معهن وأنا أكتب لدرجة اننى أجد نفسى احيانا أبكى وأنا أكتب ..

ـ كل امرأة :

*** من المرأة الحديدية التى قابلتها فى حياتك غير مسز تاتشر ؟**

ـ أعتقد أن كل امرأة تستطيع أن تكون حديدية .. فأنا مؤمن بقوة وصلابة المرأة .. وايمانى هذا يرجع إلى معايشتى لتصرفات أمى ، فقد وجدتها حكيمة بعيدة النظر .. وكنت معجبا بهذا الشكل .. فأى امرأة تتميز بهذه الصفات تستطيع أن تكون حديدية ..

*** ويتوقف عن الكلام قليلا ثم يستكمل حديثه قائلا :**

ـ وكذلك اعجابى بصفية زغلول وزوجتى وأم كلثوم جعلنى اؤمن بقوة

المرأة بل اننى أجد المرأة أحيانا تكون أكثر صمودا وشجاعة من الرجل . .

فمثلا وأنا فى السجن تأملت تصرفات المرأة وقارنتها بالرجل ، فكنت ألاحظ أن البنت تكتب لأبيها المسجون وتزوره أكثر من الولد . . والأخت تزور أخاها أكثر من الأخ . . والأم تزور ابنها أكثر من الأب . .

وهذا يدل على أن العاطفة والوفاء عند المرأة أكثر وأعمق ، ولذلك فأنا ضد الرأى الذى يقول إن النساء غادرات وخائنات . . وأعتقد أن الأنوثة وفاء وحب وعطاء . .

*** كيف ترى المرأة عندما تحكم ؟.**

ـ المرأة حاكم ناجح جدا ، وتجربتى تؤكد أن الحاكم غيور جدا . . وأهم صفات المرأة الغيرة . .

*** ومن هى أتعس امرأة فى العالم فى نظرك ؟ ومن أسعد امرأة فى العالم ؟.**

ـ أتعس امرأة فى العالم هى زوجة لاعب القمار ، لهذا فأنا أنصح أى امرأة ألا تتزوج من مقامر ، فكل العيوب الأخرى محتملة إلا لعب القمار لأن لاعبه يقامر بكل شىء حتى بسعادته الزوجية . .

أما أسعد امرأة فهى المرأة الصامدة . .

*** قديما قالوا « قلب الرجل فى معدته ».. وقالوا أيضا : أن الضمان الوحيد لبقاء الرجل فى قفص الزوجية هو الأطفال .. فما رأيك .. وكيف تكسب المرأة زوجها بعيدا عن المعدة والأطفال ؟.**

ـ غير صحيح . . وأعتقد أن المعدة هى بيت الداء ، وليس بيت المرأة . .

*** اذن ما مفتاح قلب الرجل ؟**

ـ سوف اتكلم عن مفتاح قلبى أنا .. وهو شخصية المرأة وصمودها وتفانيها ..

*** وهل تحب المرأة المطيعة ؟**

ـ لا .. على العكس أنا اؤمن بالحوار والمناقشة .. وأكبر ناقدة لمقالاتى وروایاتى هى زوجتى ..

*** وأيهما أصعب فى رأيك قلب المرأة أو قلب الرجل ؟**

ـ قلب المرأة أصعب .. فهو يفتح بصعوبة ويغلق بصعوبة أيضا .. أما الرجل فمن السهل أن يفتح قلبه ومن السهل أيضا أن يغلقه ..

*** ما هو تقييمك لما حققته النائبة المصرية التى حصلت على حق الانتخاب ؟**

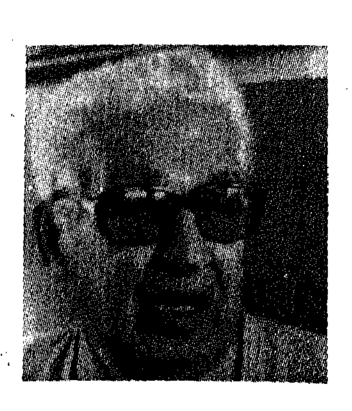
ـ أعتقد أنها تجربة ناقصة .. لأنهن شبه معينات ، فتخصيص ثلاثين مقعدا للمرأة ينقص من فعالية هذه المقاعد ـ ورأيى ألا تخصص فى البرلمان مقاعد للمرأة .. بل يجب أن تكافح وتناضل كأى رجل للحصول على المقعد .. وبهذا تشعر بمعاناة المرأة ومشاكلها وتتبناها بصدق داخل المجلس ..

أتذكر أثناء ثورة ١٩١٩ فى مصر عندما كان النساء يقفن أمام أبواب المحلات الانجليزية ويمنعن أى شخص من الدخول وشراء بضائع انجليزية .. وأتذكر أيضا أنه فى عهد اسماعيل صدقى رئيس وزراء مصر قبل الثورة خرجت النساء فى مظاهرات وتعرض لهن البوليس واستمررن فى المظاهرات رغم أن رئيس الوزراء أصدر أوامره الى الجنود برشهن بالماء ، ثم رشهن بالحبر الأسود .. ومع ذلك لم يتوقفن واضطر رئيس الوزراء أمام

اصرارهن الى وقف التعرض لهن ، وتركهن يكملن المظاهرة . .

ولكن للأسف ـ كما يقول الكاتب الكبير مصطفى أمين ـ فان المرأة المصرية لم تعد تملك هذا القدر من التحدى . . والسبب يرجع الى ثلاثين عاما مضت سيطر فيها الفكر المستبد على الناس . . فكان هذا النتاج من أولاد الخائفين .

* * *



احسان عبدالقدوس :

بهرتنى شخصية

« روز اليوســـف »



كانت أمنية قديمة ظلت تراودني من حين لآخر .. أن التقي بالكاتب الكبير « احسان عبدالقدوس » وأجرى معه حديثا صحفيا ..

مرات كثيرة كنت أقابله في مناسبات وأماكن مختلفة .. ولكنني لم أحظ بمتعة الحديث معه والنقاش الشائق حول آرائه ومعتقداته وأفكاره ..

وكان على أن أعد الأسئلة .. والحق كانت كثيرة .. متشعبة .. متفجرة أحيانا .. فالكاتب الكبير ليس أديبا فقط .. وليس محللا سياسيا له العديد من المواقف الجريئة التى ألقى بسببها فى المعتقلات .. وكان هدفا لأكثر من محاولة اغتيال .. بل هو بالاضافة إلى ذلك .. قلم حساس استطاع أن ينقل عبر الورقة والقلم أدق التفاصيل وأخصها ، واشتهر بقدرته الفائقة على وصف مشاعر المرأة وطبائعها .. عواطفها وغرائبها أيضا ..

لذلك .. ورغم أن الاستاذ الكبير « احسان عبدالقدوس » كان كريما معى الى أقصى حد .. وأعطانى الكثير من وقته .. إلا أننى لم أشعر

بأننى حصلت على كل شيء . . فـالجلوس مع « احسـان عبـدالقدوس » كمطالعة موسوعة ضخمة متنوعة . . غنية فى مـادتها . . شـائقة ومثيـرة فى أسلوب عرضها . .

تطرق حديثى مع الكاتب الكبير الى قضايا عديدة . . بالطبع كانت على رأس قائمتها المرأة . . وتشعب حوارنا ليشمل آراءه حول المحاور الثلاثية الأسـاسية فى حيـاته : « **الأدب . . الصحافة . . والسياسة** ».. وكان الرابط المشترك الذى يجمع بين كل هذه الحلقات فى سلسلة تفكيره . . هو البعد الانسانى العام .

فهو - مثلا - لا يرى اختلافا بين طبيعة المرأة وطبيعة الرجل لأنهما فى النهاية « انسان ».. ولكل انسـان - بغض النـظر عـن جنسـه - مشاعروعواطف وردود أفعال متشابهة سواء كان رجلا أو امرأة . . وهو أيضا لا يفرق بين الكتابة الأدبية والكتابة السياسية لأنهما ينبثقان مـن مصـدر واحد . . هو احساسه الطبيعى بالحياة والأحداث من حوله . .

حدثنى عن دور السيدة « روز اليـوسف » بـالتحديد فى تشكيل فـكره واطلاق حريته فى التعبير عن آرائه بلا حدود . .

وأجابنى عن أسئلة كثيرة حول المرأة باعتباره الكاتب الـذى تسـلل الى أعماقها وكشف أسرارها . .

دافع بحرارة عن نفسه عندما وجهت اليه اتهام الناس بأنه لا يـرسم فى قصصه لا صورة المرأة الارستقراطية المتحررة . . وقال . . انه كتب عن الطبقة المـوسطة فى معظم قصصه . .

وتحدث الكاتب الكبير عن معنى السـعادة عنـده . . فقـال انهـا الحب . . حب الله والوطن . . وحب الانسـان لـلانسان . . وقـال إنـه

الكاتب الاديب احسان عبدالقدوس يرفض التفرقة بين الرجل والمرأة عندما يتحدث عن المشاعر الانسانية .. فكلاهما يحب .. ويتاثر .. ويتعذب ..

مرتبط بإحساس الأسرة طوال حياته .. وان هذا الارتباط أنقذه من متاعب كثيرة وكان سببا فى نجاحه ..

وقال احسان عبدالقدوس :

*** لم أنجب بناتٍ وليس لى حفيدة ، وكان نفسى فى ولو « عبد القدوساوية » واحدة ..**

« لا فرق »

*** سألته فى بداية حوارنا : معروف عن الأستاذ احسان عبدالقدوس فهمه العميق للمرأة .. الى الحد الذى يمكن وصفه بأنه استطاع أن يشرّح هذه الأعماق وينفذ الى أدق تفاصيلها . فكيف تشكل داخل الكاتب الكبير هذا الفهم العميق ؟ والى أى العوامل يرجعه ؟..**

ـ ابتسم ابتسامة طفولية . . أشرق بها على وجهه . . كطفل وديع بدأ حديثه وقد أسند رأسه على كف يده اليمنى . . قال :

ـ دائما أواجه بأننى فاهم لمشاهر المرأة وقادر على التعبير عنها . . ولكننى فى الحقيقة لا أعتبر نفسى متخصصا فى شئون المرأة أو أحاسيسها ، والواقع أننى منذ بدأت تقديراتى الاجتماعية وضعت للمرأة صفة ربما تكون جديدة فى المجتمع العربى . . فأنا منذ بداية تكوين تفكيرى وأنا أعتبر أن المرأة شخصية موزاية ومساوية تماما لشخصية الرجل . . ولا فرق بين رجل وامرأة . . والفرق الوحيد هو الفرق « الفسيولوجى » ـ أى الجسمانى ـ بمعنى أن تكوين جسم المرأة مخصص للولادة والانجاب ، والرجل لا يحمل ولا ينجب . . أنما فى تكوين الشخصية نفسها والقدرة العملية وفقا للقدرات العامة لا فرق ولا اختلاف بين الرجل والمرأة . .

وأعتقد أن ما يفرق بين المرأة والرجل هو التقاليد . . نوع من فرض القوة . . قوة الرجل على المرأة ـ وبالطبع تتضاءل هذه القوة بين مجتمع وآخر وتختلف اختلافا كبيرا . . فالمجتمع الأوروبى غير المجتمع الشرقى مثلا .

ولهذا ولأننى رجل . . وأفهم وأشعر بكل ما يشعر به الرجل أعبر بنفس أحاسيس الرجل عن المرأة . . فليس كل أبطال قصصى من النساء . . ولكن بينهم أيضا رجال . . وكما أعبر عن النساء أعبر أيضا عن الرجال . .

ومسألة تعمقى فى فهم المرأة نابع من فهمى ، لأنها من طبيعة الرجل ، بمعنى أن كل ما يدور فى عقل وأحاسيس الرجل يدور فى عقل وأحاسيس المرأة مع اختلاف المسئوليات . .

« حكم عام »

*** تعنى أنك تحكم على كليهما حكما انسانيا عاما ؟.**

ـ بالفعل .. فأنا أساوى بينهما الا فى اختلاف مسئولية كل منهما .. والذى يفرضه اختلاف التكوين الفسيولوجى « الجسمانى » بين الرجل والمرأة ..

ولكنهما فى مستوى واحد من ناحية تكوين الشخصية والعقل والفكر ، ومن ناحية التحليل النفسى أيضا ..

*** ويستطرد احسان عبدالقدوس قائلا :**

ـ وكان أول ما دفعنى لهذا التفكير اننى ابن لأم كانت تحمل مسئوليات لا تختلف عن مسئوليات رجل أبدا ، وكانت ناجحة جدا فى تحمل هذه المسئوليات كنجاح أى رجل .. فكانت أمى صحفية وأصدرت مجلة « روز اليوسف » ـ مجلة عمرها الآن أكثر من ستين سنة وما زالت قائمة ومن المجلات العريقة ـ وكل تكوينها كان قائما على امرأة وليس رجلا ..

وهذا ما جعلنى اقتنع تماما بأنه لا فرق على الاطلاق بين الرجل والمرأة ما دامت تستطيع أن تنجح فى كل شيء اذا أرادت ..

وهذا الاقتناع يجعلنى قادرا على تحليل شخصية المرأة دون أن أتأثر بالتقاليد أو بالمظهر الاجتماعى .. وهذا ما يفتقده الكثيرون من الكتاب سواء كانوا نساء أو رجالا .. فهم جميعا يخافون عندما يكتبون من وصف حقيقة ما يحدث ، على أساس أن التقاليد لا تسمح بأن نقول كذا أو نقول كذا ..

ولكنى مؤمن بأن الكاتب يجب أن يصف المشاعر الطبيعية فى الموقف الذى يتحدث عنه دون النظر الى هذه الأمور حتى يكون صادقا ومقنعا ..

« وكل عظيمة أيضا »

*** وما رأيك فى المثل الشائع الذى يقول « ان وراء كل عظيم امرأة ؟..**

ـ لا شك أن وراء كل عظيم امرأة .. ولكن أحب أن أقول انه أيضا وراء كل عظيمة رجل ..

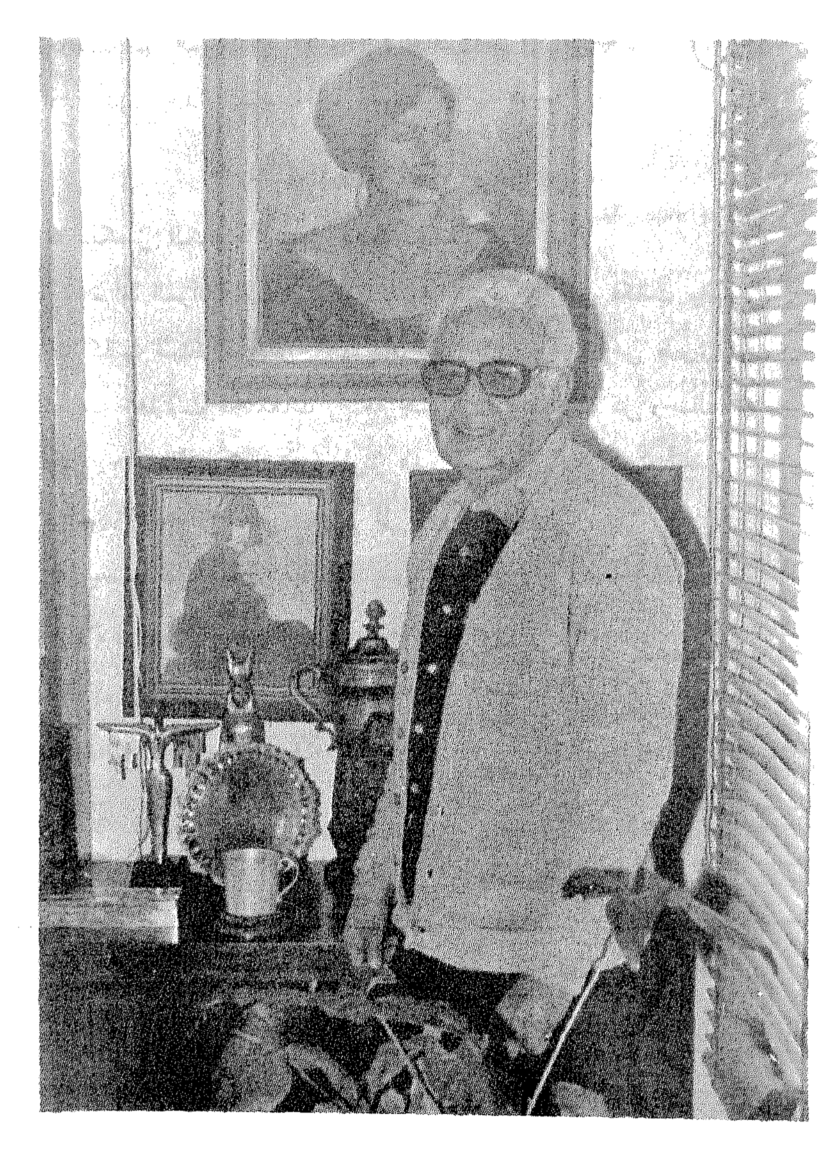
فأنا مثلا أنسب الفضل الكبير جدا فى نجاحى الى زوجتى .. وفى نفس الوقت أنسب كل ما تتمتع به زوجتى من سعادة لى .. فأنا وراءها وهى ورائى .. أنا دافع لسعادتها ونجاحها .. وهى دافع لسعادتى ونجاحى ..

*** لو تحدثتنا عن أهم السيدات اللاتى أثرن فى حياتك بعمق وكان لهن بصمات واضحة فى حياتك ؟**

ـ أنا أدين لثلاث سيدات بالفضل فى تكوين شخصيتى وانطلاقى فى حياتى الأدبية والصحفية ..

أولهن ـ لم تكن أمى ـ كانت عمتى .. لأن عمتى هى التى تلقتنى منذ ولدت حتى أنها كانت ترضعنى .. وظللت معها حتى سن ١٨ سنة لأن والدى كان منفصلا عن والدتى .. فتولت عمتى تربيتى .. وكانت طريقتها فى تربيتى هى افساح كل المجالات لى .. فهى التى فتحت أمامى مجالات كثيرة .. وزرعت داخلى التفكير الحر .. وكانت عمتى تعاملنى بمبدأ أنه لا يجب أن أتعدى الحدود وما دمت لا أتعداها .. فلى مطلق الحرية فى حياتى ما دمت لا أؤذى أحدا .. ولا يؤذينى أحد ..

فمثلا كان المفروض ألا أعود الى المنزل بعد التاسعة .. فاذا



الكاتب الكبير احسان عبدالقدوس لا يزال يعترف بفضل المرأة في حياته أما .. وزوجة .. وزوجة إبن أيضا !

حافظت على الموعد فلى مطلق الحرية فى وقتى بلا تأنيب أو عقاب .. أما اذا تعديت هذا الموعد فهنا يكون العقاب قاسيا ..

« نجاحها كان يبهرنى »

*** ويكمل الكاتب الكبير حديثه قائلا :**

ـ أما المرأة الثانية التى كان تأثيرها كبيرا جدا على فكانت والدتى .. فقد كانت سيدة عاملة ونجاحها كان دائما يبهرنى .. وعن طريق نجاحها تعرفت وعايشت مجتمعات واسعة جدا ، مجتمعات كل رجال السياسة وكل رجال الأدب .. وعن طريق هذه الجامعات ، كنت أتلقى ثقافتى وتبلور اهتماماتى التى دفعتنى الى تكوين مستقبلى ..

*** ويستطرد احسان عبدالقدوس قائلا :**

ـ وطبعا كان أهم شيء فى هذه الفترة هو الاختلاف الشاسع بين عمتى ووالدتى .. فعمتى كانت تمثل التقاليد القديمة .. لا تخرج .. ليس لها مجتمع يضم رجالا لأن جدى ـ والدها ـ كان من رجال الدين وهو الشيخ « أحمد رضوان ».. فكانت متفرغة للبيت .. كأى ست تقليدية .. فى حين أن والدتى كانت فى منتهى الحرية .. وتعمل فى وسط رجاله .. فكنت أذهب اليها فأجدها تجلس وسط عشرة رجالة .. محمد التابعى والمازنى والعقاد وغيرهم .. وعمتى لا تجلس إلا مع الستات .. كانت لهن « قعدة » كل يوم أربعاء .. وكنت أجلس بينهن واستمع إلى كلامهن ..

« لمــاذا ؟»

*** ورغم أن طفولتك الأولى كانت فى جــو متشــدد إلا أنــك انبهــرت**

بشخصية السيدة « روز اليوسف » التى تمثل النقيض لما نشأت عليه ؟.

ـ لا .. فى الحقيقة أنا واجهت مجتمعين مختلفين وكنت أحب عمتى جدا .. وأحب والدتى جدا .. وهذا ما جعلنى أفكر وأحلل وأتساءل بينى وبين نفسى لماذا تعيش عمتى هذه الحياة وتحيا أمى فى حياة مختلفة تماما ؟.. ما الذى خلق هذين المجتمعين المتباعدين داخل بلد واحد ؟! وربما قادنى هذا التفكير الى قصية التقدم فى الحياة ككل .. لأن التقدم الاجتماعى .. هو التقدم فى أى شيء وفى أى مجال .. وكان كل همى كيف أربط بين هذين المجتمعين وأصل الى مجتمع واحد يجمع والدتى وعمتى ؟.. هذا ما وجه كل تفكيرى وبنى شخصيتى كمفكر وأديب ..

*** ويتوقف قليلا .. ثم يستكمل حديثه قائلا :**

ـ السيدة الثالثة التى لها فضل على هى زوجتى .. لأنى تزوجت وكنت صغيرا جدا كان عمرى ٢٢ سنة وكنت طالبا بالليسانس .. أول ما تخرجت تزوجتها .. وكنت فى فترة البناء ـ كأى شاب ـ وكانت مرحلة عذاب .. وجهاد ضخم جدا .. وتعرضت لمعاناة كبيرة .. كانت زوجتى هى الوحيدة التى وقفت إلى جانبى فى هذه المرحلة الصعبة .. ولولاها لما كنت تخطيتها .. ولا وصلت لما أنا فيه من نجاح الآن ، ولهذا فأنا أعتبر أن فضلها كبير جدا على .

« بمشاعر رجل »

*** بطلات رواياتك هل تصف مشاعرهن بأحساس رجل أم باحساس امرأة ؟.**

ـ إذا اقتنعت بما قلت بأنه لا اختلاف بين الرجل والمرأة ، فأنا كرجل أعبر عن شخصية المرأة بشخصيتى أنا .. وفى النهاية أجدها متماثلة .. فاذا تجردنا من التقاليد ونزعة سيطرة الرجل على المرأة فسوف نقول الحقيقة ..

يعنى الناس تفترض مثلا أن المرأة ممكن تغرى الرجل ويشتهيها ، ولكن لا تفترض أن المرأة مثل الرجل أيضا من الممكن أن يغريها رجل وأن تعجب به وتجرى وراءه .. ويقولون إن التقاليد متسمحش بكده .. أيوه متسمحش .. بس ده .. بيحصل فى الواقع ..

يعنى أنا لا أعانى وأنا أصور شخصية امرأة لأنى أعبر عنها بطبيعية شديدة ، كما أعبر عن شخصية الرجل بالضبط فى حدود إيمانى باختلاف التكوين الجسمانى فقط .

*** هناك إتهام صريح يقول : إن « احسان عبدالقدوس » لا يصور إلا المرأة الارستقراطية أو المرأة المتحررة جدا التى لا تمثل المرأة المصرية التى نعرفها .. فما ردك على هذا الاتهام ؟.**

ـ هذا أيضا من سوء التقدير لما أكتب .. فمعظم قصصى لا تصور المجتمع الارستقراطى ، بل مجتمع الطبقة الوسطى وكثير منها يصور المجتمع العمالى .. وكثير منها أيضا يصور المجتمع الفلاحى لأنى عشت مع الفلاحين فى بلدنا .. وكذلك عشت مع العمال فى مطابع الصحف ..

*** وحضرتك من أى قرية ؟.**

ـ أنا بلدى شبرا اليمن ـ مركز زفتى ـ مديرية الغربية .. وكنا نمضى أجازة الصيف كل سنة وأنا صغير فى البلد .. لأن جدى كان يملك خمسة أفدنة هناك ..

* ويعود احسان عبدالقدوس للرد على الاتهام .. قائلا :

ـ ولكن لأن الطبقة الأرستقراطية عادة ما تكون الطبقة الحاكمة . فالكتابة عنها تثير اهتماما أكبر وكلاما أكثر .. ولذلك رغم أن نسبة القصص التى تتحدث عن هذه الطبقة أقل من القصص التى تتحدث عن الطبقات الأخرى إلا أنها أكثر شهرة لأنها تثير اهتمام الناس .. فعندما أحدثك مثلا ـ عن أبنة المليونير فلان التى عملت حفلة كلفتها مائة ألف جنيه واشترت فستانا من محل كذا سوف يجذبك الموضوع .. انما لو حدثتك عن امرأة عادية ورويت أحداث حياتها فلن تكون مشوقة بنفس القدر ..

وأنا من صغرى لا انتمى إلى الطبقة الراقية .. أنا أتربيت فى المجتمع العادى .. مجتمع الطبقة المتوسطة من أدناها إلى أعلاها .. ودائما كنت أحب أن أعرف كيف يعيش الكبراء .. الأمراء والبشوات والبهوات وأصحاب الفدادين .. وكنت طبعا عندى نفس الاحساس بأنى من طبقة ثانية .. فكنت أحب أن أتعرف بهم .. وكان لى منذ صغرى أصدقاء من أولاد البشوات والبهوات ..

ورغم ذلك قمت بحملة على البشوات فى مقالاتى قبل الثورة .. فالواقع أنا عايش بطبيعتى مجتمع الطبقة الوسطى والأقل منها .. لكن قصص المجتمع الارستقراطى هى التى تثير الضجة دائما ..

« الحياة كلها »

* يقال دائما أن الابداع والخلق غالبا ما ينبعان من رجل ويستلهمان من امرأة .. هل توافق ؟.

ـ لا .. ليس صحيحا .. فليس من الضرورى لكى أكتب أن أستلهم امرأة .. فمن الممكن أن استلهم رجلا .. وممكن أن استلهم حيوانا .. فمثلا آخر قصة كتبتها كانت من وحى حمار وكان عنوانها « هو والحمار ».. فالوحى هو ما يثير فكرة .. والفكرة ممكن أن يفجرها أى مظهر من مظاهر الحياة أو أحداث الحياة .. وطبعا هناك أحداث تدور حول المرأة أوحت إلى بقصة .. وأحداث رجالية أوحت الى بأفكار .. وحالات سياسية وحالات اجتماعية .. كل ظروف الحياة أوحت إلى بالعديد من الأفكار ..

ليس هذا فقط . بل اننى نتيجة التأمل والقراءات كتبت قصصا عن العالم الآخر .. يعنى عن الجنة والنار .. فليست المرأة فقط هى التى توحى .. الحياة كلها توحى بأفكار ..

*** وهل المرأة قادرة على الابداع والخلق بنفس مستوى قدرة الرجل ؟**

ـ المرأة لها نفس القدرة على الابداع والخلق مثل الرجل ـ لكن المرأة فى المجتمع العربى لا تزال جبانة أمام التقاليد .. فعندما تكتب قصة عن واحد وواحدة بيحبوا بعض .. مقتدرش تقول كل اللى حصل بينهم .. تخاف .. حتى الرجالة بيخافوا ..

فمثلا « توفيق الحكيم » فى مرة كتب قصة كان فيها صريحا وعرض تفاصيل بين رجل وامرأة .. فهاجوا عليه .. القصة كان اسمها « الرباط المقدس » فكانت النتيجة أنه امتنع من يومها ـ من أكثر من ٤٠ سنة ـ عن طرق هذا الموضوع على الاطلاق وأصبح أقرب الى كاتب رومانسى ..

*** وترتفع نبرة صوته فى انفعال .. قائلا :**

ـ أنا ما بخفش .. لأنى بأعتبر أننى أرمز للتطور .. وأرمز للصدق وبعكس ما أتهم به .. فأنا لا أتعمد الاثارة ولا أتعمد أن أقيس رد فعل ما أكتبه على القارىء .. كل ما أفعله اننى أعبر عن الواقع .. وأعالجه .. ولا .. أعالج الوهم ..

وبعدى بدأ كثير من الكتاب يأخذون نفس خطى فى الصراحة .. ولكن غلطتهم أنهم يفتعلونها .. أنا لا أفتعل ..

*** ويتوقف قليلا .. ثم يقول :**

ـ ورغم كل هذا .. ورغم اتهامى بأنى أكشف تفاصيل المشاعر بصراحة .. فهذا لا يساوى شيئا إذا قورن بالأدب العالمى المتحضر .. يعنى عندما تقرأين لأكبر كتاب أمريكا ـ وليست الكتب الرخيصة ـ كأن تقرأى لهيمنجواى مثلا .. وكذلك كتاب فرنسا وانجلترا .. تجدينهم أصرح منا كثيرا جدا ، والسبب أن مجتمعاتهم تعترف بالواقع .. فأنا لا ألوم نفسى أبدا ولا أتراجع أبدا .. بل أعتبر أنى حققت كثيرا من تطور الأدب العربى كله .. وكثير من الكتاب الآن أصبحوا يأخذون نفس الخط ..

« أبــدا »

*** لو سألت كاتبنا الكبير عن أثر اتجاه « روز اليوسف » السياسى على توجهك السياسى .. فماذا تقول ؟**

*** ويميل « احسان عبدالقدوس » الى الأمام .. وبلهجة تأكيد يقول :**

ـ لا .. لم أكن مقيدا أبدا باتجاهات والدتى السياسية .. فرغم أنها كانت صاحبة المجلة .. فلم أكن متبنيا لاتجاهاتها السياسية

ولا الفنية . . لأنها كانت تعاملنى على أساس اطلاق حريتى بالتفكير . .

*** معنى هذا أنها تكن « ديكتاتورة » فى فرض رأيها عليك ؟**

ـ لا . . كانت ديكتاتورة بس وهى بتربينى لما كانت ترفض أن أكتب فى الأدب حتى أتفرغ للصحافة . .

*** ألم تكن تغضب منك اذا عارضتها فى آرائها السياسية ؟**

ـ لا . . كان الفرق كبيرا جدا بينى وبينها . . فكل اتجاهى الثورى كانت مش موافقة عليه . . فقد كنت معتمدا أعتمادا كاملا على الجيل الجديد وهى مرتبطة ارتباطا كاملا بالجيل القديم . .

يعنى هى البلد كانت بالنسبة لها عبارة عن مجموعة أحزاب . . وأنا ثائر على كل ده . . يعنى كنا مختلفين جدا . . ولكنها لم تكن تتدخل إلا فى النواحى القانونية فيما أكتب من منطلق الخوف على . . أنما من ناحية تكوين رأيى . . كانت توفر لى مطلق الحرية . . ولم تكن تعاملنى أبدا على أنها صاحبة جريدة . . وهذا ما أعطانى ميزة لم تكن متوافرة لكثير من الكتاب الممتازين . . هذه الميزة هى أننى كانت عندى حرية النشر . . يعنى اللى عايز أكتبه . . أكتبه وينشر . . وكنت باكتب حاجات جريئة جدا . . لا يمكن أى جريدة أخرى فى مصر تتحمل نشرها . . أنما باقى الكتاب كان لازم صاحب الجريدة ورئيس التحرير يوافقان على النشر . . لكن أنا كنت حرا . . أنشر ما أريده . .

وبالعكس . . أنا لكى أثبت أننى غير محصور فى روز اليوسف كنت أنشر فى كثير من الجرائد الأخرى . فكنت أكتب فى المصرى ودار الهلال وآخر ساعة وكل الجرائد . . وهنا كنت أواجه القبول والرفض ـ لأن

صاحب الجريدة أو رئيس التحرير يقول لى أحيانا :

ـ لا يا احسان .. مقدرش أنشر الكلام ده ..

ولم أكن أزعل من هذا .. فأنا أعطى للناشر حريته كما أعطى للكاتب حريته .. فالناشر أيضا حر ينشر ما يراه مناسبا لجريدته لأنها مسئوليات ، وكل إنسان له مطلق الحرية فى تقديرها ..

فكنت آخذ مقالا أعتذرت عن نشره « الأهرام » لأنشره فى « المصرى » مثلا فاذا اعتذر المصرى .. أنشره فى « روز اليوسف » لأنها بتاعتى .. فطريقى إلى النشر كان سهلا .. أسهل كثيرا من طريق أى كاتب آخر ..

*** لو أدرنا شريط الذكريات الى الوراء .. وسألنا من هم الأساتذة أو المفكرون الذين كان لهم الفضل على توجيه طريقك .. أو تشجيعك خلال مشوار حياتك ؟**

*** وبنظرة تعبر الحاضر إلى سنوات وأحداث مضت .. قال :**

ـ أنا لا أعتبر أن هناك من له فضل مباشر على فيما عدا عمتى وأمى وزوجتى .. ولكن هناك مئات تأثرت بهم .. وأعتبرهم أساتذة استفدت من كتاباتهم .. واستفدت من تاريخهم ..

« أهضم ولا أحفظ »

*** ومن أهم هؤلاء ؟**

ـ أنا من طبيعتى أننى لا أحفظ أسماء أو وقائع محددة .. ولكنى أستطيع أن أقول أن أكثر حاجة أستفدت منها هى القراءة ، فقد قرأت الكتب السياسية كلها .. وكتب الأدب كلها .. كل الأدب الروسى

والأدب الأنجليزى .. والقصص خصوصا .. أنما من طبيعتى أننى لا أقرأ بهدف الحفظ واختزان المعلومات .. ولكن أستوعب .. كما لو كنت آكل ما أقرأه .. وكأى طعام ينمى الخلايا .. كانت هذه الكتب تنمى حسى الأدبى وتنضج عقلى وتربيتى الفكرية وتربيتى فى دراسات الحياة .. وليس معنى ذلك أن أرتبط بما قرأت أو أحفظه .. بل تحدث عملية هضم ثم نسيان للوقائع أو الأسماء .. أنسى التفاصيل .. فقد عملت مع الاستاذ محمد التابعى وكان واحدا من الأساتذة الذين أستفدت منهم جدا ولكنى لا أذكر شيئا بالتحديد مما كتبه محمد التابعى .. رغم أن كل ما كتبه فى بؤرة التكوين العقلى .. فهناك المؤرخون الذين يهتمون بحفظ ما يقرأون أو ما يجمعون من معلومات .. ولكنى لست مؤرخا .. أنا منتج أستفيد بالاستيعاب والفهم ليس بالاحتفاظ بالذاكرة أو الاختزان ..

*** ويستطرد الكاتب الكبير قائلا :**

ـ ومن طبيعتى أيضا أننى التقى بشخص ـ فى أى جلسة ـ وممكن بعد سنة أو سنتين أكتب قصة فأجدنى بلا تعمد أضع جزءا من شخصية ألتقيت بها فى لقاء عابر أو مناسبة ، وقد يكون ترسب من هذه الشخصية رأى صدر منها وأعجبنى فى تلك المناسبة وأكتبه دون أن أشعر أننى أقصد انسانا أو انسانة معينة ..

*** ويضحك « احسان عبدالقدوس » قائلا :**

ـ ولذلك فكل قصة أكتبها تنسب إلى عشرات السيدات .. ويقولون ده قصده فلانة ..

* * *

« لم أحترف شيئا »

*** لو قلنا أن حياة كل انسان تمر بعدة مراحل .. وحياة الفنان والأديب بصفة خاصة غالبا ما تمر مراحلها بلا ترتيب أو تصاعد فى اتجاه واحد .. فمتى كانت فترات التألق .. ومتى كانت الفترات التى خبا فيها نجم احسان عبدالقدوس ؟..**

ـ أنا لم أتعمد .. ولم أفتعل الفن أو السياسة .. فأنا كاتب سياسى .. وكاتب فنى .. ولكن الظروف جعلتنى منذ صغرى أكتب قصصا .. كيف حدث هذا ؟ كان والدى كاتب قصة وله مسرحيات كثيرة منها مسرحية « احسان بك » وغيرها .. فكنت أحب أن أقلده منذ كان عمرى خمس سنوات .. وعندما وصلت الى العاشرة من عمرى أكملت أول مسرحية من تأليفى .. كان اسمها « المعلم علم التلميذ .. طلع لص شريف »..

وكان تأثرى فى الكتابة بوالدى وبالقصص التى كنت أقرأها لـ « آرسين لوبين » والقصص البوليسية .. كل هذا وجدته فى نفسى .. يعنى لم أتعمده .. واستمررت أكتب قصصا .. شعرا منشورا .. آراء .. من صغرى .. لدرجة انى كنت أمشى وفى جيبى ورقة وقلم .. وأى وقت فاضى عندى أكتب .. يعنى مثلا رحت السينما ولقيت الفيلم لسه ما بدأش .. فأقف على الرصيف وأكتب حتى يبدأ الفيلم ..

ورغم أننى بدأت حياتى بكتاباتى الأدبية .. ولكن بدأت شهرتى بين الناس ككاتب سياسى .. ولم أتعمد السياسة أيضا .. ولكنى أعمل بالسياسة من صغرى تلقائيا .. وأعتبر أن السياسة لا تحتاج لاحتراف ..

فأنا أعتبر أن أى انسان سياسى .. فبائع الفول مثلا .. تقابله أى مشكلة يهاجم الحكومة .. وأنا أيضا بدأت حياتى السياسية فى مظاهرات الطلبة والحركات الوطنية .. فلم أفكر فى احتراف الأدب .. ولم أفكر فى احتراف السياسة ، وانما التيارات التى أحاطت بى وليس لى فضل فيها .. فى السياسة وجدت نفسى ابن صاحبة مجلة « روز اليوسف » وهى مجلة سياسية .. فأتيحت لى فرصة التعبير عن آرائى فى المجلة .. فأنا من صغرى ولغاية النهاردة .. لم أحترف أى شيء .. إنما دوافع تلقائية هى التى جعلت منى أديبا وكاتب قصة .. وكاتبا سياسيا .. ورجل سياسة أيضا .. وكلها دوافع لم أتعمدها .. وحتى الآن أنا لا أعتبر نفسى محترف أدب ولا سياسة .. لأنى باكتب بمزاجى ..

* * *

« خناقات مستمرة »

*** ويتوقف احسان عبدالقدوس .. ثم يستمكل حديثه قائلا :**

ـ حتى عندما تخرجت فى كلية الحقوق .. وكنت طالبا متفوقا .. كان المفروض أن أعمل بالمحاماة .. وفعلا عملت محاميا لمدة سنتين وكنت أتمرن فى مكتب محام كبير اسمه « ادوارد قصيرى » ومن فرط اعجابه بالمذكرات التى كنت أكتبها .. أعطانى الحق فى أن أفتح مكتبا باسمى رغم اننى لم أكن قد أمضيت فترة التمرين المفروضة وكانت سنتين ..

وفعلا .. فتحت مكتب محاماة داخل مجلة « روز اليوسف » ووضعت على الباب يافطة كبيرة مكتوب عليها : « احسان عبدالقدوس المحامى ».

وبعد سنتين زهقت من المحاماة .. ورغم أننى كنت مغرما بكتابة المذكرات القانونية إلا اننى كنت دائما اتخانق مع القضاة لأنى أتصرف تصرفات محام غير محترف .. تصرفات انسان عايز يعبر عن رأيه بأى شكل .. فالقضية اللى اقتنع بموقف صاحبها لازم أتخانق مع القاضى وأشتم .. فلم استطع أن أحقق أرباحا فى الشغلة دى ..

ففى سنتين .. رغم أنى أخذت أكثر من ثلاثين .. أربعين قضية .. ما خدتش إلا خمسة جنيهات .. لأنها كانت كلها من الأصدقاء فكان معظمها لا أتقاضى عنه أجراً .. رغم أننى كنت أكسب معظمها .. بس المشاكل الكثيرة اللى كنت بعملها خلتنى أهرب من المحاماة وأتفرغ لقلمى وحده ..

*** وأين نشرت أول مقال لك ».**

ـ أنا بدأت فى « روز اليوسف » لأن والدتى كانت تتعمد تربيتى صحفيا .. فلم تكن تريد أن أرث شخصية أبى بأن أكون فنانا مطلقا فكانت تريدنى صحفيا وليس فنانا ..

*** وتطغى على ملامحه الطفولية .. ابتسامة مشرقة .. وهو يتذكر شيئا ما قفز إلى خاطره .. ثم يقول :**

ـ وفى حادثة ظريفة قوى .. كنت صغيرا أصيف فى الاسكندرية وكانت أمى فى القاهرة .. وتصادف أن مرض مندوب « روز اليوسف » فى

الاسكندرية فأتصلت بى والدتى فى التليفون وقالت لى .. أنت تروح لوكاندة وندسور حتلاقى الوزراء ورئيس الوزراء هناك بيجتمعوا كل ليلة .. روح هناك واسمع منهم الأخبار وأبعتهالى .. أنا عايزة أخبار سياسية ..

قلت لها .. حاضر - فقد كنت أقبل لمجرد ارضائها .. وفعلا ذهبت إلى هناك - ووجدت مجموعة من الوزراء وأهمهم كان « هيكل باشا » الذى تولى بعد ذلك رئاسة حزب الأحرار الدستوريين .. وكان معهم كامل الشناوى ..

وبكل سذاجة الأطفال .. توجهت الى « هيكل باشا » رئيس الوزراء وقلت له والدتى بتسلم عليك وبتقولك إنها عايزة أخبار ..

فطبعا هم سمعوا الحكاية دى وهات يا ضحك .. وبعد انفجارهم فى الضحك بدأ كل واحد فيهم يعطينى اخبارا فرحين بسذاجتى وتلقائيتى ..

وبعثت الأخبار لوالدتى .. ففرحت جدا .. وأعطتنى مكافأة كبيرة جدا وقتها .. حوالى ٢٠ قرشا !!..

بدأت الصحافة بهذا الشكل .. وكانت أمى لا تشجعنى على كتابة أى شيء من الأدب سواء قصة أو شعر خوفا من أن أكرر صورة والدى وأكون فنانا فقط ..

وجاءت فترة أصدرت فيها والدتى مجلة « روز اليوسف اليومية ».. عام ١٩٣٤ وكنت أيامها أكتب فقرات من الشعر المنثور وعايز أنشر اللى باكتبه فى المجلة .. فقد كان فيها صفحة أدب كان يشرف عليها المرحوم يوسف حلمى وحدث أن كتبت قطعة من الشعر المنثور وبعثتها للمجلة بدون امضاء حتى لا تمنعها والدتى فنشرها يوسف حلمى .. وكانت هذه

أول حاجة تنشر لى فى الصحافة المصرية كلها .. وكان عمرى وقتها حوالى ١٥ سنة .. وكان عنوانها « أخيرا وجدها »..

وبعد نشرها أخذت الجريدة وذهبت الى أمى وأنا طاير من السعادة لأخبرها بأننى أنا الذى كتبت هذا فإذا بها تثور على وتخصم مصروفى الاسبوعى وكان عشرين قرشا ..

وبعد هذا عايشت الجو الصحفى والسياسى لسنوات طويلة واستفدت كثيرا من هذا الجو الذى جعلنى أتأمل كل الطبقات والاتجاهات ..

* * *

« وعينت رئيسا للتحرير »

*** ويتوقف كاتبنا الكبير للحظات .. وكأنه يسترجع شريط الماضى .. ثم يقول :**

- إلى أن دخلت السجن لأول مرة عندما كتبت مقالا عنيفا ضد السفير البريطانى « اللورد كليرن » وهو كان تقريبا حاكم مصر .. فحبسونى .. ودخلت السجن لمدة أربعة أيام .. ثم أفرج عنى .. ولما خرجت قالت لى أمى .. كل رؤساء تحرير « روز اليوسف » دخلوا السجن السياسى .. فأنا عينتك رئيس تحرير « روز اليوسف ».. كان عمرى وقتها ٢٥ سنة ..

وتفرغت للصحافة منذ توليت رئاسة تحريز « روز اليوسف » وانشغلت جدا ولكن هذا لم يحرمنى من الأدب وكتابة القصة .. لأن أنا من صغرى وأنا أكتب القصة ، ورغم الوقت الكبير الذى كنت أقضيه فى عملى الصحفى السياسى كنت أتحين أى وقت فراغ لأكتب قصة .. وباعتبارى

رئيسا للتحرير . . كان من حقى أن أنشر قصصا دون تدخل من أمى كما كانت تفعل من قبل ، فبدأت أكتب مقالات سياسية عنيفة جدا مثل « الأسلحة الفاسدة » والنقد العنيف وأنشر فى نفس العدد قصصا مسلسلة . . وهذا خدم « روز اليوسف » جدا لأنه جعل قراء القصص يشترونها وقراء السياسة أيضا . . وجعلت الجيل الجديد يهتم بالسياسة . . فالفتيات اللاتى كن يقرأن القصة . . كن يقرأن المقال السياسى أيضا فتربى لديهن الاهتمام بالسياسة . .

* * *

« متعة طبيعية »

*** ولكنى أعتقد أنك تعتبر أن الصحافة هى مهنتك .. والأدب هوايتك .. أليس كذلك ؟**

- بالفعل . . الصحافة تعتمد على تزويد الصحفى لنفسه بأكبر كمية من المعلومات العامة . . فوجدت نفسى لازم أفهم فى كل حاجة . . مقدرش أكتب مثلا عن « الماركسية » قبل أن أدرس « الماركسية » . . فدرست كل المذاهب السياسية . .

الأدب هو تربية الموهبة الشخصية بحيث يستطيع الأديب أن يعبر ويطور أى فكرة داخله . . وهذا اضطرنى لأن أقرأ كل أنواع الأدب . .

*** ويشير الكاتب الكبير الى مكتبة كبيرة فى الحجرة المخصصة للكتابة والقراءة فى منزله .. ويقول :**

- فالمكتبة التى أمامك بها كتب فى الأدب الصينى والياباني والروسي والأمريكى والعربى . .

*** وهل تحدد ساعات معينة للقراءة فى يومك ؟**

ـ ضرورى .. كنت زمان أشتغل الصبح وبالليل .. وكنت أبدأ القراءة الساعة اثنين بعد نص الليل لغاية الساعة خمسة الفجر .. وأنام من خمسة لثمانية .. لكن دلوقت قسمت يومى .. الصبح أكتب .. وفى الليل أقرأ ..

وأنا باعتبر أن القراءة والكتابة شغل ورغم ذلك لا أشعر انهما واجب .. ولكن أمارسهما كمتعة طبيعية فأنا أشعر بأننى أتمتع عندما أقرأ وعندما أكتب .

*** وهل تشعر بمعاناة الكتابة .. أم أن أفكارك تقطع الطريق من داخلك إلى الورق فى سهولة .. بلا تعسر ؟.**

ـ هى ليست معاناة .. بل مجهودا .. حتى أحدد الموضوع الذى أريد أن أكتب فيه ، أحتاج لتفكير كثير وقراءة كثيرة .. لأنى دائما أحدد الموضوع قبل أن أكتب .. وأحدده فى نقاط .. وبعد ذلك أبدأ الكتابة .. فهذه بالنسبة لى هى أوجه المعاناة ..

*** ويستطرد الكاتب الأديب « احسان عبدالقدوس » قائلا :**

ـ طبعا كان زمان بالاضافة إلى هذه المعاناة .. هناك معاناة سياسية .. فمثلا أنا تعرضت لمحاولات أغتيال أربع مرات وأعتقلت أيضا ..

*** وكم مرة تعرضت للاعتقال السياسى ، ومتى ؟**

ـ أول مرة كانت سنة ١٩٤٥ ، وبعدين سنة ١٩٥١ ثم ١٩٥٤ .. يعنى أتحبست قبل الثورة وبعد الثورة كمان ..

*** ومحاولات الاغتيال كم عددها ؟ ومتى حدثت ؟**

ـ أربع مرات حاولوا يقتلونى لأسباب سياسية .: الملك فاروق بعد

عزله وكان مقيما فى مدينة « كان » فى « فرنسا » حاول يقتلنى ..
و« عباس حليم » حاول يقتلنى عندما كتبت الحملة الشهيرة عن
« الأسلحة الفاسدة ».. ومرة ثالثة عندما حاولوا الاعتداء على فى حزب
الوفد .. والقذافى أرسل مندوبا لاغتيالى .. وقبض عليه بالصدفة ..

كلها كنت فيها ملكا للقدر .. حتى نجاتى من كل هذه المحاولات
كان بأمر الله .. يعنى أنا مثلا أكره أن أمشى وورائى حرس .. فى وقت
من الأوقات كانت الحكومة تعين على حارسا .. أنا أكره جدا المسألة
دى .. فكنت بعد شهر أو شهرين أطلب وزير الداخلية أو رئيس الوزراء
أقول له .. أرجوك أنا مش عايز حرس

*** ويضحك « احسان عبدالقدوس ».. ثم يقول :**

ـ رغم أن الناس كانت بتعتبرها أبهة .. لكن أنا مطقش الأبهة دى
بقه ..

ـ هذا ما أصاب الكل .. لست أنا وحدى .. فأنا كنت حراً قبل
الثورة .. حرية تامة وساهمت فى الثورة مساهمة كبيرة جدا على أساس
استمرار حريتى .. إنما فوجئت بعد ما حققنا الثورة انها أخذت منى
حريتى .. ولم أصبح حراً لا أنا ولا أى كاتب آخر .. لأن الصحافة
أممت .. وأصبحت الرقابة أعنف .. والأحكام على الكتاب أعنف ..
وكل هذا أثر على حريتى جدا وحرية تفكيرى وجعلنى أغير الكثير من
أوضاعى ..

*** ولما توليت منصب رئيس تحرير « أخبار اليوم »؟**

ـ كنت وقتها مقيداً جداً .. إنما بعد تولى أنور السادات الحكم
وضعنى كسلطة عليا فى المؤسسة كرئيس لمجلس إدارتها وكنت أنا وأنور

السادات صديقين ، فقد كان معى في روز اليوسف وكنا في البداية مشتركين في آراء حول مواضيع قائمة .. مشتركين في الرأى حول الاتحاد السوفيتى .. حول القذافى فكان هذا يعطينى حريات مطلقة .. ولهذا رفعت توزيع « أخبار اليوم » من ٢٧٠ الف نسخة إلى مليون و ٣٠ الف نسخة .. وهذا أكثر ما أعتز به في تاريخى الصحفى .. أننى استطعت أنا وزملائى في « أخبار اليوم » أن نرفع توزيع جريدة إلى أكثر من مليون نسخة ..

*** وهل أضطررت لمنع مقال زميل في هذه الفترة بناء على تعليمات الحكومة ؟.. وماذا كان شعورك وأنت الكاتب الذى تربى على أن يكون حراً منذ طفولته ؟.**

ـ أحب أن أقول أننى أنا الذى طلبت أن أترك « أخبار اليوم » ولم يقلنى أحد .. وكان السبب أنه حدث بعد فترة أن تباعدت آرائى عن آراء السادات وكانت النتيجة أننى فقدت حريتى .. فعندما أصدر السادات مجلة « أكتوبر » مثلا طلب منى عن طريق رئيس التحرير أن أكتب مقالاتى في التحليل السياسى وقلت له إن كلامى مش حيعجب السادات .. قال لى لا .. هو يعطيك كامل الحرية لتقول ما تشاء .. وفعلا استمريت أكتب بمنتهى الحرية لمدة سنة أو سنتين ولكن مع تغير الظروف أصبح السادات لا يسمح بهذه الحرية فمنعنى وطردنى من « أكتوبر »..

*** يعنى الحرية الكاملة هى أن يكون الكاتب هو صاحب الجريدة أو يكون متفقا تماما مع صاحب الجريدة .. وما عدا هذا فلا حرية ..**

ـ أنا كنت في قمة الحرية لما كنت صاحب المجلة اللى بنشر فيها .. ثم فقدت الحرية درجة درجة لما أرتبطت برئاسة ثانية ..

*** فهمت هذا .. ولكنى أكرر سؤالى مرة أخرى بشكل محدد .. هل منعت كاتبا من التعبير عن رأيه خلال فترة رئاستك لأخبار اليوم ؟**

ـ حرية الصحافة فى الواقع هى حرية الناشر .. أنا لما كنت ناشر مجلة « روز اليوسف » كنت واضعا لها اتجاها محددا وهو « الثورية » إنها جريدة ثورية .. سواء عبر عنها ماركسيون أو أخوان مسلمون أو رأسماليون .. ما دامت مقالات ثورية تنشر .. لما آلاقى مقالات ليست ثورية .. واتجاهات لها أغراض خاصة بعيدة عن الهدف العام كنت أمنع المقال .. وهذا حق كل ناشر ..

بعد الثورة ـ فى الأوقات التى تحملت فيها حرية النشر كرئيس مجلس ادارة أو رئيس تحرير ـ أصبحت مقيدا بالسلطة العليا التى عينتنى .. فلما يعينى جمال عبدالناصر رئيسا للتحرير ثم يجىء واحد يكتب ويهاجم عبدالناصر .. مقدرشى أنشر له وأقول مش أنا اللى مانعك .. ده عبدالناصر مانعك ..

*** وماذا يكون شعورك وأنت تقيد الحرية ؟**

ـ طبعا بأكون متضايق .. وأحب أقولك .. أنا من بعد الثورة على طول بدأت أعرف ككاتب قصة أكثر من شهرتى ككاتب سياسى .. لأن القيود السياسية حرمتنى من الحرية وبقيت أجد حرية أكبر فى كتابة القصص لدرجة إننى كتبت قصصا سياسية لم يكن لها مفعول المقال المباشر رغم الاسقاطات الكثيرة التى كانت تتخللها ..

*** وهل كان هذا نوعا من الهروب من الواقع ؟**

ـ بالطبع ..

ـ ولهذا يشعر قارىء « احسان عبدالقدوس » أن هناك دائما

تزاوجا بين الأدب والسياسة .. فى أى النوعين من الكتابة تجد نفسك أكثر ؟

ـ لا .. أنا أجد نفسى طول ما أنا باكتب .. لا استطيع أن أفتعل .. فأنا مثلا عمرى ما كتبت خطابا يلقيه رئيس من الرؤساء (**يقصد رؤساء الجمهورية**) فى حين أن كلهم طلبوا منى ذلك وأنا رفضت .. عبدالناصر طلب والسادات طلب فدائما كل رئيس دولة له كاتب معين يكتب له خطبه .. أما أنا مقدرش ، لأنى لا أستطيع التعبير عن شخص آخر .. أنا باعبر عن نفسى فقط ..

*** وهل تعتبر نفسك كاتبا للأدب السياسى .. أو بمعنى آخر انك أخرجت نوعا معينا من الأدب يهرب من الواقع بأن تقوز ما تريده فى السياسة من خلال قصة عاطفية ؟.**

ـ طبعا ساهمت فى هذا .. وفى الواقع أن الأحداث السياسية تترك آثاراً اجتماعية .. فأنا فى القصة أعبر عن هذه الآثار الاجتماعية ..

* * *

*** بعد هذه الرحلة الطويلة والحياة العريضة العميقة .. ما زال قلب « احسان عبدالقدوس » ينبض بالحب ؟**

ـ أنا أعتبر أن سعادة الانسان لا تتحقق الا بالحب .. والحب ليس الحب بين رجل وامرأة .. لا .. الحب أعم وأشمل .. وأنا لى تعبير أقول فيه .. إن الحب .. هو حب الله .. وحب الوطن .. وحب الانسان .. فلو عاش الانسان يحب الله .. والوطن .. وكل الناس من حوله .. فهذا الانسان يحقق منتهى السعادة .. وأنا حريص جدا على سعادتى من هذا المنطلق .. فأنا لو زعلت من واحد لدرجة ممكن أن

تأثر على الحب .. أهجره كله .. كأنه مش موجود فى حياتى ..
ليه ؟.. علشان احتفظ بالحب داخلى .. وكذلك اذا حدثت لى حادثة
شنعة جدا .. كل اللى أعمله انى انساها .. علشان متأثرش على طبيعة
الحب .. فسعادتى أنى أعيش أحب كل الناس .. وكل الناس
تحبنى .. وأى حاجة تمس هذا الحب أطردها من حياتى .. لدرجة انى
محسش بيها ..

*** احسان عبدالقدوس الزوج .. والأب .. والجد .. ماذا يقول عن احساس الأسرة .. وهل يؤثر هذا الاحساس بالاستقرار وما يصحبه من حياة روتينية على رومانسية وخصوصية الفنان الأديب .. وبالتالى يؤثر على حسه الفنى .. ومن ثم انتاجه ؟.**

ـ لا . أنا نشأت طول حياتى مرتبط بالأسرة .. فكما قلت لك ..
كنت بأحب عمتى قوى .. اللى أتربيت فى بيتها .. وكذلك كنت أحب
أمى جدا .. ثم بعد زواجى أصبحت مرتبطا ارتباطا كاملا ببيتى .. وهذا
أنقذنى من اغراءات كثيرة قوى .. ومتاعب كثيرة جدا .. وكان الفضل
لهذا هو البيت .. والبيت معناه الأسرة .. أهم حاجة فى الأسرة كانوا
أولادى .. وأنا على فكرة خلفت وأنا كبير نسبيا لأنى رفضت أن أنجب
عندما كنت لا أملك مالا يكفى لأن أربى اطفالى كما أحب .. فلما
جاءت الفلوس .. خلفت .. وتوقفت عن الخلفة لأن فلوسى لم تكن
تكفى لأكثر من اثنين .. وكانا « أحمد ومحمد ».. وده اللى بنصح به
كل رب أسرة .. ان ينجب بقدر ما تسمح امكانياته فقط ..

« ولا عبدالقدوساوية واحدة »

*** ويستطرد الكاتب الكبير قائلا :**

ـ بعد كده الأولاد كبروا وتزوجوا .. وانشغلوا عنى .. وأصبح الآن احفادى هم اللى بيكملوا عندى فرحة العيلة وهم بترتيب السن .. « كريم ومودى وشريف » ..

*** ويصحبنى « احسان عبدالقدوس » إلى مكان صور الأسرة فى حجرته الخاصة بالكتابة والقراءة بمنزله .. لأرى صور الأحفاد .. ويقول وابتسامته الطفولية تعلو وجهه :**

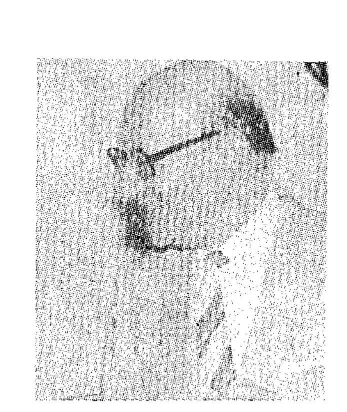
ـ برضه ثلاثة أولاد .. كان نفسى فى بنت .. ودايما أقول مفيش ولا عبد القدوساوية واحدة ..

*** لو كنت أنجبت بنتا .. هل كنت تتمنى أن تكون « روز اليوسف » الصغيرة ؟**

ـ يا ريت .. كنت سأعطيها مطلق الحرية .. ودايما بيقولوا أن آرائى متحررة لأنى معنديش بنات .. ولكنى أقول أن لى زوجة ولى زوجات أبنائى والعيلة فيها بنات كتير .. وبالعكس أنا لما كبرت فى السن أشعر بالحزن الكبير لأن ربنا لم يعطنى بنتا .. لأن البنت أكثر ارتباطا بالعيلة من الولد .. وبأحسد كل أصدقائى اللى مخلفين بنات .. لأن بناتهم بيدلعوهم .. لكن أنا محدش بيدلعنى .. وفرحتى الكبيرة الآن بأحفادى ..

* * *





عبد الوهاب :

تعلمت فى مدرسة
أمير الشعراء


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنها القمة ..

تلك المنطقة الخطرة التى يسعى اليها الفنان الحقيقى .. ويلهث فى طريقه الطويل بحثا عنها ..

وعندما يرتقى الفنان الأصيل .. ويصل إلى القمة المنشودة .. يشعر كل الناس بهذا إلا هو ..

فالفنان الحقيقى ـ كما يرى الموسيقار محمد عبدالوهاب ـ دائما غير راض عن نفسه .. ولذلك فهو يسعى إلى التجويد والتطوير .. وربما كان هذا هو السر وراء تلك الأعمال الخالدة التى تحفر فى قلوب الناس .. ولا تنسى من ذاكرتهم مهما بعدت السنون ..

فالفن لا يموت .. والفنان الأصيل لا يموت فى قلوب عشاقه .. بل يصبح علامة محفورة فى تاريخ وطنه لا يمحوها الزمن ..

والفنان الذى يصل الى هذه الحافة الخطرة ـ منطقة القمة ـ تصبح مهمته شاقة .. أشق وأصعب من كل الوقفات التى مر بها قبل الوصول الى هذه المنطقة الحرجة .. فالاحتفاظ بالقمة أصعب من الوصول اليها .. والناس عندما تعطى الفنان جوازا للمرور إلى هذه المنطقة الخطرة ، لا تسمح له أبدا بأى هفوة أو أى هزة وإلا تعرض فى لحظة

واحدة لأن يهوى إلى القاع .. دون رحمة أو هوادة ..

والموسيقار محمد عبدالوهاب .. أحد هؤلاء العمالقة الذين قطعوا الطريق المحفوف بالأشواك حتى وصلوا الى القمة .. والقمة فى نظر الفنان عبدالوهاب لا تقاس بالألقاب العديدة التى اطلقت عليه .. ولا شهادات التقدير والتكريم التى حصل عليها .. ليس من مصر فقط .. بل من عدد كبير من البلاد العربية والأجنبية .. ولكن القمة الحقيقية فى نظره .. والتى تستحق الحفاظ عليها بكل قوة واصرار .. هى حب الناس وتقديرهم لفنه ..

ولذلك عندما سألته عن أحب الألقاب إلى نفسه .. وسط زحمة الألقاب التى أطلقت عليه فى رحلة حياته العريضة .. ومنها « مطرب الملوك والأمراء » فى الخمسينات .. و « موسيقار الجيلين » و « الدكتور عبدالوهاب » بعد حصوله على الدكتوراه الفخرية من أكاديمية الفنون عام ١٩٧٥ .. و« اللواء محمد عبدالوهاب » قال .. إن أحب لقب اليه هو الاستاذ عبدالوهاب .. أو حتى عبدالوهاب فقط .. فهذا ما يطلقه الناس عليه .. وقال : إننى أشعر عند سماعه أننى أنا الذى وصلت إلى الشعب .. وهذا عندى أكبر من كل الألقاب .. وأحب أيضا لقب « فنان الشعب »..

كان لى الحظ أن أفوز بلقاء معه .. وفى بيته الأنيق الذى ينبعث الاحساس بالفن من كل ركن فيه .. ويطل على نيل مصر بالزمالك .. التقيت بالفنان العملاق .. أحد القلائل الذين استطاع فنهم أن يخترق حدود المكان والزمان ..



الفنان الموسيقار محمد عبدالوهاب .. لا يعترف بالتخطيط لاعماله .. فكثيرا ما خرج لحن جديد .. قبل لحن آخر كان يجب ان يسبقه فالمسالة كما يقول مسالة فكرة تسيطر على الفنان وتلح عليه الى أن تخرج !!

وبدأ اللقاء .. والحوار الشائق ..

سألت الفنان الكبير محمد عبدالوهاب :

*** بعد رحلة طويلة .. وحياة عريضة .. غنية بالعطاء الفنى المستمر .. بماذا تنوى أن تتوج حياتك الفنية .. أو ما العمل الكبير الذى يشغلك الآن ؟.**

*** أجاب بهدوئه المعروف :**

ـ معنى سؤالك .. اننى سأموت .. : فالتتويج معناه أن العطاء سوف يتوقف .. وعندما يتوقف العطاء فلا قيمة للحياة ..

*** أنا لا أقصد ذلك .. أمد الله فى عمرك .. أنا أقصد العمل الكبير الذى يشغل تفكيرك ؟**

ـ ليس هناك عمل كبير أو صغير عند الفنان .. فأنا غالبا أنشغل فى عدة أعمال فى وقت واحد .. وربما أختار أو أجد نفسى منساقا للاستغراق فى أحد هذه الأعمال .. وتكون النتيجة أن يخرج للناس قبل الأعمال الأخرى ..

*** ويستطرد قائلا :**

ـ فالفنان دائما يجتر ـ مثل الجمال ـ لأشياء داخله .. ويحاول أن يرضى نفسه أولا .. بمعنى أننى عندما أعيش فى عمل .. فلابد أن أشعر أنه يرضينى فى النهاية قبل أن يرضى الناس .. ولابد أن أكون سعيدا به .. ولذلك فعندما يتبلور بداخلى عمل يرضينى .. أقرر على الفور أن يخرج إلى الناس .. بصرف النظر عن أى اعتبار آخر ..

وأثناء انشغالى بالعمل يكون غالبا فى ذهنى عدد من المطربين أو المطربات الذين أشعر بأن اللحن ملائم لهم .. وبمجرد الانتهاء منه يكون قرارى قد تحدد .. لمن أعطى هذا اللحن ؟..

وعندما تنتهى علاقتى بالعمل .. أشعر بأنه لم يعد ملكى .. فهو ملكى ما دام قابعا فى صدرى .. ولكن بمجرد خروجه وبلورته .. أشعر أنه انفصل عنى .. وأصبح ملكا للناس ..

*** اذا طلب منك أن تقيم عبدالوهاب بعد نصف قرن من العطاء الفنى السخى .. فما هى محصلة هذا التقييم ؟ ما الذى تأخذه عليه ؟ وما الأشياء التى ترى أنه يجب أن يفخر بها ؟**

ـ هذا سؤال غير ممكن الاجابة عنه .. فالفنان عليه أن يعمل ..

والناقد المتخصص عليه أن يغربل العمل ويخرج محاسنه ومساوئه .. أما أن ينقد الفنان نفسه فهذا مستحيل .. والفنان دائما غير راض عن نفسه .. وأنا حتى الآن عندما استمع الى أعمالى أشعر بأشياء كان يجب أن تتغير ، وجمل كان لابد أن توضع فى اللحن بشكل آخر .. فباستمرار الفنان غير راض عن نفسه ..

■ وقفات فى حياتى :

*** ويتوقف قليلا .. ثم يقول :**

ـ ولكن كانت هناك وقفات فى حياتى منها مثلا لحن « على غصون البان » أعتبره وقفة فى حياتى .. الحقبة التى ظهرت فيها « جارة الوادى » و « خايف اقول اللى فى قلبى » وقفة فى حياتى .. المرحلة التى عملت فيها « فى الليل لما خلى » وقفة فى حياتى .. « أهون عليك » بالذات أشعر فعلا أنها كانت وقفة فى حياتى .. أغانى الأفلام التى بدأتها .. من فيلم « الوردة البيضاء » ١٩٣٥ أى منذ أكثر من خمسين سنة .. « الجندول » و « كليوباترا » و « الكرنك » اعتبرها علامة فى حياتى .. الأغانى التعبيرية التى بدأت بـ « أيظن » و « لا تكذبى » وقصائد نزار قبانى وكامل الشناوى .. أيضا أعتبرها علامة فى حياتى .. أغانى أم كلثوم التى قمت بتلحينها علامة فى حياتى .. أما لماذا كانت هذا الوقفات علامات فى حياتى الفنية ؟ فهذا محتاج إلى شرح طويل ..

*** ويستطرد الموسيقار عبدالوهاب قائلا :**

ـ وبالاضافة الى كل هذا .. فأنا أعتبر أن هناك ايضا أشياء أخرى تعتبر علامات مميزة فى طريقى الفنى .. ومنها اثراء الفرقة الموسيقية ..

فبعد أن كانت عبارة عن عود وقانون وكمان ورق (دف).. أدخلت عليها آلات غربية مثل (التشيللو) و (الكونتر باص) و (الأورج) و (الأكورديون) الذى أدخلته فى « مريت على بيت الحبايب » عام ١٩٣٣ .. ولم يكن موجودا ضمن الآلات العربية .. و « الجيتار » الذى ادخلته فى فيلم « رصاصة فى القلب » فى أغنية « انسى الدنيا وريح بالك ».. الآلات الغربية أدخلتها فى أوبريت « مجنون ليلى ».. الكورال فى أوبريت « القمح » يعتبر نقطة تحول بالنسبة للكورال المعروف فى ذلك الوقت ..

*** ويكمل حديثه قائلا :**

ـ وعمل موسيقى مصرية .. فلم يكن عندنا موسيقى مصرية .. كان عندنا موسيقى تركية .. يعنى كان عندنا « بشرف » و « سماعى » و« سماعى عثمان بك » و « بشرف سالم باشا » وخلافه .. ولذلك عندما بدأت شعرت أننى أريد أن أعمل موسيقى مصرية خالصة .. وكانت أول مقطوعة لى اسمها « فانتازى نهاوند ».. ثم مقطوعة اسمها « حبى » و « بنت البلد » و « عزيزة »..

ـ لا أخطط :

يعنى أقصد أن هذه التحولات التى قمت بها .. لم أخطط لها .. ولكنها جاءت وليدة الاحساس .. فالفنان لا يخطط .. والخاطر عندما يأتى لا يأتى بميعاد .. ولكنه يداهم الفنان فى أى وقت ..

*** تقصد الوحى .. أم الالهام ؟**

*** ويضحك الفنان عبدالوهاب .. ويقول:**

ـ نعم .. وعندما يأتى هذا الخاطر .. فانه يفسد علىّ حياتى . فيأتينى مثلا وأنا مرهق وذاهب إلى سريرى لأنام .. فيسرق النوم من عينى .

*** معنى هذا انك لا تحدد مواعيد معينة تعمل فيها ؟**

ـ إزاى .. الخاطر يعنى قدراً .. فكيف تتحكمين فى القدر .. والمشكلة لا يأتينى الخاطر إلا فى أسخف الأوقات .. فربما يأتينى وأنا أستعد لتناول غذائى .. فيفسد على يومى .. لا أعرف أتغدى .. وأكون فى حالة من القلق وعدم الاستقرار .. فالخاطر هو قدر .. ولا هروب من القدر ..

*** ننتقل الى نشأة عبدالوهاب التى يعتقد الكثيرون أنها نشأة ارستقراطية .. فهل هذا صحيح ؟ وهل يرجع هذا الاعتقاد إلى اللقب الذى أطلق عليك فى الخمسينات بأنك مطرب « الملوك والأمراء »؟..**

ـ لا أبدا .. لا ارستقراطية .. ولا حاجة .. أنا راجل غلبان .. فأنا نشأت نشأة دينية فى جامع فى حى سيدى الشعرانى بباب الشعرية .. ووالدى كان شيخ جامع .. وعمى كان اماما .. واخى كان محاميا شرعيا .. وأنا كان المفروض أن أكون قارئا للقرآن الكريم .. أهلى كانوا يريدون ذلك .. ولكنى خسرت وفلت منهم .. وخرجت عن المخطط اللى رسموه لى ..

لكن القدر ساقنى إلى الالتقاء بأحمد شوقى ـ أمير الشعراء ـ وظللت ملازما له فى كل مكان .. وأتاح لى هذا الالتصاق بأحمد شوقى الجلوس فى مجالسه التى كانت تجمع كبار الشخصيات ومنهم طه حسين ولطفى

السيد والعقاد والمازنى والتابعى .. وغيرهم ..

أما مسألة الملوك .. والأمراء فهذا كان شيئا طبيعيا .. لأن الملوك والأمراء كانوا هم الذين يقيمون الحفلات أيام زمان .. ولذلك غنيت أمام عدد من الملوك والأمراء فى ذلك الوقت منهم ملك الأفغان الذى غنيت أمامه « فى الليل لما خلى ».. وغنيت فى العراق أمام الملك فيصل الأول ملك العراق فى ذلك الوقت وغنيت أمام الملك فؤاد وفاروق .. وكذلك غنيت أمام الأمراء .. الأمير محمد على ولى العهد فى ذلك الوقت والأمير يوسف كمال .. وغيرهم كثيرون .

ومن هنا جاءت تسميتى بمطرب « الملوك والأمراء ».. والحمد لله أضاف جمهورى بعد ذلك إلى هذا اللقب القابا كثيرة أعتز بها .. وأهمها « فنان الشعب »..

■ لكل الشعب :

*** ألم تعتبر أن هذا اللقب ـ مطرب الملوك والأمراء ـ كان إتهاما لك بأنك تغنى للصفوة .. وليس للشعب ؟**

ـ أنا أعتبر أن الأغانى التى يغنيها ويرددها الشعب وتستمتع بها كافة طبقاته هى المعيار .. فاذا وصلت إلى كل الناس بأعمالى وأمتعتهم بها .. فهذا فى رأيى هو الهدف .. بغض النظر عما اذا نزلت هذه الأعمال فى قصر أو سراى .. أو طلعت من أرض مجدبة ..

*** ويستطرد عبدالوهاب قائلا :**

ـ وهل معيار الشعب أن ألحن كلمات هابطة أسلى بها الناس ويرددونها فى الشوارع .. أنا أذكر أن الأغنية الوحيدة التى عملتها بهذا الشكل هى « فيك عشرة كوتشينة ».. ولكننى لا أعتبرها من أعمالى .. فقد جاءت

فى فترة البداية .. ولكن أعمالى كلها أتصور انها « جارة الوادى » « الليل » « خايف أقول اللى فى قلبى » « الجندول » .. « الكرنك » .. أما الاغانى التى غناها الناس فى الشوارع وأعتقد انها ما زالت تتردد حتى الآن .. فمنها أغنية « بلاش تبوسنى فى عينيه » وأغنية « حكيم عيون » .. وغيرهما ..

ـ ٤ شخصيات :

*** ذكرت مرة أن هناك أربع شخصيات أثرت فى حياتك هم : والدتك ـ أمير الشعراء أحمد شوقى ـ سيد درويش ـ شارلى شابلن .. فهل تحدثنا عن ذكرياتك معهم ؟**

ـ شارلى شابلن لم يؤثر فى .. ولكنه كان صديقا لى .. وكنت من المعجبين به جدا .. فقد كان له شخصية متعددة الجوانب .. فهو فنان شامل يمثل ويخرج وهو أيضا سياسى .. ومناضل .. وفيلسوف .. وبالاضافة إلى ذلك كان يهوى الموسيقى .. وعمل مقطوعة مشهورة ..

*** ويتوقف لحظة ثم يبادر بقوله :**

ـ وحبيت هتلر .. تصدقى .. كنت أحب أن أسمعه وهو يخطب .. فكان يخطب كالمغنى .. اداؤه الخطابى فيه فن وذكاء .. زى المغنى الذى اللى يبدأ بهدوء .. ثم يحمى تدريجيا مع اللحن وتتصاعد انفعالاته .. وفى النهاية يقفل قفلة تجعل الناس تصرخ من قمة الانفعال والتأثر به ..

فأنا أعجبت بهتلر كفنان وليس كسياسى .. وأعجبنى فيه أيضا انه إنسان عاطفى .. يعنى كان انسانا عاطفيا يرجع من معركة قتل فيها عشرون ألفا .. ويركع تحت رجل حبيبته « ايفا » كطفل برىء ..

وأعجبت أيضا بـ « نابليون ».. وقرأت كل شيء عنه .. لانه كان فنانا .. فتكوين الشخصية بهرنى فى هؤلاء .. رغم الاختلاف والتناقض الغريب الذى يميزهم .. فهؤلاء الذين يتصور الناس أنهم بلا قلب .. تجدينهم غاية فى الرقة والاحساس المرهف ..

■ مدرسة شوقى :

*** وماذا عن الشخصيات التى أثرت فى حياتك تأثيرا عميقا ؟**

- أنا تربيت وتخرجت فى مدرسة شوقى .. هذه المدرسة التى كان اساتذتها من كبار المفكرين والأدباء والشعراء .. وكنت لا أزال صغيرا فى الرابعة عشرة من عمرى .. فكنت أجلس مستمعا .. منصتا بكل التركيز لما يجرى حولى من حوارات ومناقشات غنية ومفيدة .. وهناك حكمة صينية تقول :

« الاستماع الجيد .. جديث جيد »..

تعلمت فى هذه المدرسة طريقة التفكير .. وأسلوب الحياة .. وفوق كل ذلك .. موسيقية الكلمة .. فقد عشت مع انسان كله موسيقى .. فالشعر موسيقى وشوقى كان أمير الشعراء ..

*** وكيف كان لقاؤك بشوقى ؟**

- كنت صغيرا فى السابعة من عمرى .. وكنت أغنى فى مسرح عبدالرحمن رشدى .. فسأل عنى .. فقالوا له .. إنه طفل موهوب من باب الشعرية فسأل : ومتى يعود إلى بيته كل ليلة ؟.. فقالوا له : فى الساعة الواحدة صباحا .. فثار وقال : لا .. لا يجب أن تقضوا على هذا الولد فى هذه السن .. فاذا كان عنده شيئا .. فلابد أن يرتاح ويعيش طفولته بشكل سليم .. حتى يكبر .. ويعطى ..

وطلب فعلا من الحكمدار الانجليزى أن يأمر بايقاف عن العمل فى المسرح .. وقال له : كيف تتركون الأطفال يعملون فى المسارح حتى ساعة متأخرة .. وكانت نتيجة ذلك أن أصدر الحكمدار أوامره إلى عبدالرحمن رشدى صاحب المسرح بايقاف .. وجاء عبدالرحمن رشدى يخبرنى بذلك .. فحقدت على شوقى حقدا شديدا فى ذلك اليوم .. ولكن رغم المرارة التى شعرت بها إلا أن موقف شوقى هذا كان بعيد النظر .. وأفادنى كثيرا .. ففى هذا الوقت كان أهلى قد يئسوا تماما منى .. أو « رموا طوبتى » بالمعنى الدارج .. ولذلك تركونى ادرس وأتعلم فى المجال الوحيد الذى استطيع أن أعمل به .. وهو الفن .. فبدأت أدرس الموسيقى .. وأتعلم أصولها .. فتعلمت إلى أن وصلت الى سن الرابعة عشرة فى عدة معاهد إيطالية ونواد موسيقى .. وأخذت جرعة كافية تؤهلنى أن أبدأ وأشق طريقى فى عالم الموسيقى الذى لم أحب غيره ..

وشاءت الظروف أن يحضر شوقى أول حفلة أغنى فيها .. وكانت فى الاسكندرية .. فسمعنى .. وسأل مرة أخرى عنى .. فقالوا له انه نفس الولد الذى رأيته قبل سبع سنوات ومنعته من الغناء ، فطلب مقابلتى .. فهربت .. وتعقبونى إلى أن أحضرونى أمامه .. وكنت مرعوبا كما لو كنت سأقابل « بعبع ».. وضحك عندما رآنى بهذه الصورة وقال لى :

ـ متخفشى .. المرة دى خلاص أنا مقتنع أن الوقت مناسب للبداية .. وأنا حاشجعك .. وهذا عنوانى فى البيت وتليفونى .. كلمنى فى أى وقت .

■ عش البلبل :

*** ويتوقف قليلا .. وكأنه يسترجع شعور هذه اللحظة .. ثم يقول :**

- أنا حقيقى حبيته فى هذه اللحظة وشعرت بانجذاب شديد اليه .. دخل قلبى .. وعشقته .. .. شعرت أننى أمام أب رحيم متفهم لما أنا فيه .. ولم انتظر طويلا .. ففى اليوم التالى كنت فى بيته .. وظللت فى ركابه طيلة سنوات عمره .. منذ عام ١٩٢٥ إلى أن مات .. كنت معه كل يوم .. ليلا ونهارا .. لدرجة انه كان مخصص لى حجرة فى بيته وأسماها « عش البلبل » ..

*** وإذا تحدثنا عن الفنان الخالد سيد درويش .. فماذا تقول ؟**

- سيد درويش لا شك انه أثر على عندما سمعت ألحانه .. حبيت فنه .. رغم أننى لم أقابله شخصيا .. واعتقد انه استطاع أن يعبر عن الكلمة بما يتفق معها من الموسيقى .. فقبله لم يكن عندنا موسيقى مصرية .. كان هناك طرب وشخلعة .. أغانى الانسان يسمعها وهو سكران .. أو بيترنح .. « أنا هويت وانتهيت » واضح فيها هذا الخط الدرامى .. وكذلك كل أعماله ..

كان داخله شحنة كبيرة من الفن والاحساس .. بالاضافة إلى وجوده فى الاسكندرية الذى أتاح له الاختلاط بالايطاليين واليونانيين والأرمن .. وهذا جعله يلتقط روحا جديدة .. دون أن يقصد .. فالفنان لو قصد التأثر لا يكون فنانا .. بل مقلدا .. والفنان الحقيقى هو الذى يمتزج تأثره بكل من حوله بذاته .. فيخرج فنه اصيلا ومتطورا فى آن واحد ..

■ أغان بسيطة :

*** وما تفسيرك لخلود فن سيد درويش رغم مرور أكثر من نصف قرن**

على رحيله .. فما زالت أغانيه تتردد فى الشوارع ويغنيها الناس ويطربون لها .. فما السر فى رأيك ؟؟

ـ الأغانى التى يرددونها أغان بسيطة و« كوميك » ـ يقصد كوميدية ـ .. يعنى مثلا عايزة تقولى ان رجل الشارع يطرب لما يسمع محسوبكم داخ صبح منداس ».. لكن هو بيغنيها لأنها حاجات لطيفة خفيفة .. وهو أيضا يطرب لحاجات تانية زى « السح الدح أمبو »..

وقيمة الشيخ سيد درويش أهم من هذه الأعمال التى لحنها للطوائف والصنايعية .. الشيخ سيد درويش خالد برواياته وأدواره .. رواية « شهر زاد » رواية « الباروكة » و « العشرة الطيبة » والروايات اللى عملها لنجيب الريحانى والأدوار العظيمة اللى عملها ..

يعنى الشيخ سيد درويش لو كان عايش الآن ما كان لحن أغانى الطوائف .. لانها خرجت من تياترو .. تياترو نجيب الريحانى .. ولانها كانت تعبر عن الواقع فى ذلك الوقت .. فمثلا هل كان سيغنى للسقايين ؟ أو .. لليونانيين الذين كانوا يعملون فى مطاعم مصر فى ذلك الوقت ؟ معنى ذلك أن سيد درويش خلدته أعماله الكبيرة وليست هذه الأغانى التى يرددها الناس فى الشوارع .. فالمناخ العام كان هو مناخ « التياترو » الاستعراضى .. وهذا يحدث دائما بعد الحروب الكبيرة .. فتجد الناس محتاجة للغناء والرقص ليبعدها عن الواقع المؤلم ..

فطلعت فرق استعراضية كثيرة مثل فرقة « نجيب الريحانى » وفرقة « على الكسار ».. وكانت هذه المسرحيات تعتمد على الاستعراض والتنويع فى الشخصيات فى المسرحية الواحدة .. فتستعرض الطوائف المختلفة وتقدم مثلا السقايين والعربجية والجرسونات والحشاشين .. كان

هذا يحدث فى اطار استعراضى ليجذب الناس .. ويصرفهم عن همومهم ..

وأنا أعتقد أن طبيعة العصر الذى وجد فيه سيد درويش هى التى جعلته يخرج هذه الأعمال .. ولو عاش عصرا آخر لكانت أعماله اختلفت لانها كانت ستعكس أيضا هذا العصر الآخر ..

*** لكن سيد درويش كان له دور وطنى من خلال فنه .. ومعروف عنه انه غنى منتقدا أوضاع الاحتلال الانجليزى .. وكانت أغانيه تلهب الحس الوطنى عند الشعب للتحرك من أجل انهاء هذا الاحتلال ..**

- لم يكن سيد درويش هو صاحب الكلمة .. بل كان صاحبها مؤلف هذه الأغانى مثل بديع خيرى وأمين صدقى .. وغيرهما ..

■ أحببتها جدا :

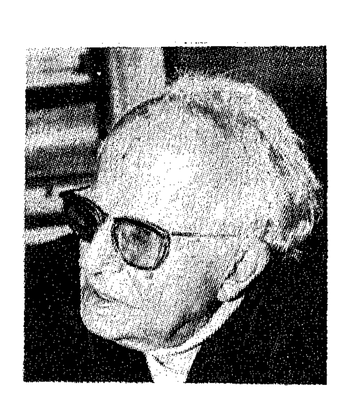
*** يبقى دور الأم فى حياة الفنان الكبير .. الموسيقار محمد عبدالوهاب .. فهل تحدثنا عنها ؟**

- قيمة والدتى الحقيقية فى حياتى - بالاضافة إلى كل افضالها التى تتساوى مع أى أم أخرى على ظهر الأرض - كانت فى وقوفها إلى جانبى ودفاعها عنى عندما حاول والدى وأخى أن يبعدانى عن الفن .. ورغم انها لم يكن لها علاقة بالفن .. ولم تدرك أبعاد ما تفعله لأنها كانت سيدة بسيطة .. لكنها بفطرتها وحبها لى كأم أحست انها لابد أن تدافع عن هذا الشيء الذى أحبه وأجد نفسي فيه .. ولا استطيع أن ابتعد عنه .. أحببت أمى جدا جدا .. وما زلت اؤمن ايمانا مطلقا بأن صدر الأم هو الشيء الوحيد الذى لو فقده الانسان فقد شبابه .. فمهما تقدمت السن

بالانسان حتى ولو وصل الى سن المائة وله أم لا تزال على قيد الحياة فهو يشعر بالشباب لمجرد احساسه أن هذا الصدر الحنون موجود فى الحياة .. إذا احتاجه .. فسوف يجده .. وعندما تختفى هذه السيدة .. الأم .. من عالمنا .. فإن الانسان حتى ولو كان فى الثلاثين من عمره يشعر بأنه أصبح عجوزا .. وأنه فقد شبابه إلى الأبد !..

* * *





يحيى حقى :

ليست هناك رائحة تفوح من كتاباتى

أقوى من رائحة الغورية



.. قالوا عنه .. ان ثقافته مزيج من باريس .. والقاهرة .. وفى كلماته رائحة عطور السين .. وبخور الغورية ..

.. وقالوا .. أن يحيى حقى .. وهو يقدم لك بعباراته الرشيقة آخر صيحة فى عالم الفكر .. تجده فى نفس الوقت يقدم لك قلعة الكبش .. والامام والمغربلين ..

.. وقالوا عنه .. أنه ضليع فى الترجمة .. وهو الكاتب الذى تنطبق عليه عبارة انه « اذا ألف .. ترجم .. واذا ترجم ألف »..

.. انه أديبنا المعروف .. شيخ القصة القصيرة .. يحيى حقى .. الأديب الذى استطاع تصوير الواقع المصرى بدقة متناهية فى قصته الشهيرة « قنديل أم هاشم ».. وصاحب القلم الذى غاص فى أعماق الشخصية المصرية .. فحللها .. ورسمها بكلماته .. وكأنه رسام موهوب ينقل الصورة بتمكن .. ولكن يحيى حقى .. عندما يرسم لوحاته الأدبية .. لا ينقل الملامح التى يراها كل الناس .. وانما يأخذ القارىء معه فى

رحلة داخل أعماق شخصياته .. ويتجول معه بسلاسة .. وصدق .. فى دهاليزها ..

حملت كل هذا فى رأسى .. وأنا أعد نفسى للقائه .. كان اللقاء محاولة اقتراب من هذا الجزء الخاص فى حياته .. أو بعبارة أدق .. الدائرة الممنوعة .. التى أحاطها أديبنا بسياج من السرية طوال حياته .. ولم يسمح أن تكون مجالا للأحاديث الصحفية أو الاذاعية والتليفزيونية ..

* * *

ونجحت المحاولة

ونجحت محاولتى فى اقتحام هذه الدائرة الممنوعة .. بعد محاولات متعددة لاقناعه .. وفتح الكاتب القدير قلبه .. ليروى شريط الذكريات ..

*** ابتسم يحيى حقى ابتسامة هادئة .. وأطلت من عينيه نظرة متأملة .. شاردة .. وكأنها تسبح فى الماضى .. ثم بدأ يتكلم :**

*** قال :**

- كنت دائما أفضل ألا أقترب من الحديث عن حياتى الخاصة .. ولكننى قبلت أخيرا .. وأتمنى أن يكون كلامى هذا عبرة لمن يعتبر .. فقد تزوجت مرة من مصرية .. ومرة من أجنبية .. وفى كلتا الحالتين .. فإن الزواج لا يزال كما يقول أهل بلدنا « قسمة .. ونصيب ».. ويقولون أيضا .. انه مثل البطيخة .. تشتريها .. ولا تدرى ماذا بداخلها ؟..

*** ويتوقف قليلا .. ثم يقول :**

- وسأبدأ برواية قصة زواجى من المصرية .. كان اسمها - رحمها الله - نبيلة سعودى .. وأنا كنت فى ذلك الوقت موظفا فى وزارة

الخارجية .. فى درجة سكرتير أو أو ثان .. لا أذكر بالضبط .. وكانت حالتى تشبه حالة كثير من أعضاء السلك الدبلوماسى حينما يسافرون الى الخارج صغارا .. ويظنون .. أنهم سيجدون من الحرية ما يخفف عنهم عبء ضرورة الزواج بسرعة .. فيخرجون وهم « متبحبحون ».. ثم يحدث أن يشعروا بعد عودتهم فى فترة خدمتهم فى البلد المكلفين بالعمل به بضرورة الزواج ..

والزواج للدبلوماسى له شروط ومتطلبات معينة .. فلابد أن تكون العروس .. عندها القدرة على مخالطة الأجانب .. ومعرفة بلغة أجنبية .. وكذلك معرفة بآداب الاستقبال وآداب المائدة .. الى آخره .. فتتجه أنظار هؤلاء .. أول ما تتجه الى خريجات المدارس الأجنبية .. وما أكثرها فى بلادنا .. بين فرنسية .. وانجليزية .. والمانية .. وايطالية .. ثم ينتقل تفكيرهم الى مرحلة أعلى فيبحثون عن فتاة أمها أجنبية .. ووالدها مصرى مسلم .. حتى تجمع بين معرفتها التامة باللغة الأجنبية .. الى جانب التزامها بالتقاليد .. والقيم الاسلامية ..

كنت أريدها طويلة

*** ويستطرد يحيى حقى قائلا :**

ـ كان هذا هو وضعى .. ولكننى اؤكد لك اننى لم أشهد شيئا من هذا .. انما كان أملى أن أجد فتاة .. ربيت تربية اسلامية صحيحة فى بيت محتشم .. والغريب أننى لم ألجأ الى الخاطبة .. بل لجأت الى محيط اصدقائى .. وفعلا جاءنى صديق بعد فترة .. وقال لى إنه وجد لى الفتاة المطلوبة .. ودبر هذا الصديق مقابلة .. وكانها جاءت

بالصدفة .. كانت هذه المقابلة فى نادى المعادى .. فلما ذهبت وجدتها فتاة .. لحسن الحظ .. أطول منى الى حد ما .. لأننى كنت أشترط أن تكون طويلة حتى لا ننجب أولادا من لاعبى السيرك فى المستقبل ..

*** ويعود بنظرته سنوات طويلة الى الوراء .. وهو يتذكر مواقف هامة فى حياته .. ثم يقول :**

- وبمجرد أن رأيتها .. وتأملت شكلها ونظراتها .. وحركات يديها .. أحسست انها دخلت قلبى .. وقلت نعم .. أتزوج هذه الفتاة ..

وفعلا تمت اجراءات الخطبة بسرعة وتزوجتها .. وأذكر يومها .. أننى قلت لها .. « أياك أن تقبلى الزواج منى لأنى موظف بوزارة الخارجية .. ولانك ستخرجين للحفلات والسهرات .. وأرجوك أن يكون حكمك على شخصى .. بعيدا عن وظيفتى .. فلا تخطئى فى حق نفسك ..

وابتسمت لكلامى .. وطمأنتنى .. وتم الزواج ..

*** قلت لشيخ القصة القصيرة :**

- وكيف سارت حياتكما معا ؟

*** قال :**

- لا أستطيع أن أحكم عليها .. فلسوء الحظ .. مرضت زوجتى بعد زواجنا بثلاثة شهور .. أصيبت بمرض من أشد الأمراض خبثا .. عانت منه لعدة شهور .. ثم توفيت بعد أن تركت لى أبنتى الوحيدة « نهى » ..

*** وتعلو نبرة التأثر فى صوته .. وهو يتذكر العذاب الذى عانته**

زوجته الأولى .. فيقول :

ـ تعذبت عذابا شديدا .. ومررت وقتها بأزمة كبيرة .. فقد رأيت بعينى .. كيف يدب الموت فى الجسد من الرأس الى القدمين ..

* * *

فضيلة الرضا

*** وهل كانت الفترة القصيرة .. التى أمضيتماها معا قبل مرضها سعيدة ؟..**

ـ يجب أن أذكر لزوجتى الأولى الخصال الكريمة التى اكبرتها فيها .. ولا أزال .. فقد كانت رحمها الله .. قنوعة جدا .. وهبها الله صفة الرضا بسهولة .. وهى صفة نادرة فى النساء .. فأذكر مثلا .. انها طلبت منى مرة أن ننزل لنشترى « برنيطة ».. فتوقعت أن تستغرق عملية الشراء هذه فترة لا تقل عن ساعة ونصف داخل المحل الكبير ..

ولكننى فوجئت بها تدخل .. وتمسك باحدى البرانيط وتضعها فوق راسها .. ثم تقول لى :

ـ هذه هى التى أريدها ..

*** ويستطرد قائلا :**

ـ استغربت حقيقة .. فقد كانت البرنيطة التى اشترتها فعلا هى أجمل ما يناسب وجهها .. وشعرت وكأن هناك موعدا كان قد تم بينهما .. هى .. والبرنيطة .. وجاءت هى فى هذا الموعد ..

ووجه الاستغراب هنا .. نابع من أننى كثيرا ما أراقب سيدات كثيرات .. [illegible] فى [illegible] الأحذية .. وأرى كم من الوقت تستغرقه

عملية الاختيار .. التى تعد من أصعب المسائل عند الكثير من النساء ..

*** وألحظ فى عينى الكاتب الكبير نظرة حزن عابرة .. ويتوقف عن الكلام قليلا .. ثم يكمل حديثه قائلا :**

- وأذكر وأنا فى شىء من الخجل أننى رثيتها بمقالة نشرت فى مجلة الثقافة .. وأنا خجل ونادم .. لاننى اعتبر اننى اذا كنت صادقا فى حزنى عليها .. ما كان ينبغى لى أن أخلو الى نفسى .. وأتدبر كيف يكون الكلام .. الى آخره ..

*** ويصدر تنهيدة مكتومة فى صدره .. وهو يقول :**

- ولكنها خرجت .. ونشرت .. وبعدها بدأت أتتبع أعمدة الوفيات التى تنشر فى جرائدنا وأجد السطور المكتوبة فى نعى الزوجات لأزواجهن .. أو الأبناء لأمهاتهن .. وأشعر بالمرارة لما يحدث عندنا .. فالواجب أن نقدر قيمة الحزن .. وندرك أن هذه العواطف يجب أن تكون مكتومة .. لأن نشرها على الناس يضيع جلالها .. وقدسيتها ..

*** قلت لشيخ قصتنا القصيرة :**

- هل تسمح لى أن نغير الموضوع .. وننتقل الى قصة زواجك الثانى .. والذى أحدث ضجة عندما تم .. وقالوا عنك إنك - مع الفارق طبعا - أشبه بالملك ادوارد .. ملك انجلترا .. الذى ترك العرش من أجل حبه ..

وطلقوا زوجاتهم

*** ويبتسم يحيى حقى .. ابتسامته الهادئة .. ويقول :**

ـ بعد وفاة زوجتى سافرت الى باريس للعمل فى سفارتنا هناك .. وقابلت زوجتى الثانية .. حدث بيننا تقارب وتفاهم كبيرين .. وقلت نعم الزميلة ونعم الشريكة لحياتى ومستقبلى .. وكنت أعرف أن زواجى بها ليس سهلا .. لأنها فرنسية .. ووقتها كان قد صدر قانون يمنع المشتغلين بالسلك الدبلوماسى من الزواج بأجنبيات .. وحكم على المتزوجين من أجنبيات قبل صدور هذا القانون بترك العمل فى السلك الدبلوماسى ..

*** ويسكت الكاتب الكبير يحيى حقى لحظات .. وتبدو على وجهه عبرات أسى .. ثم يقول :**

ـ وفى هذه المواقف يتأمل الانسان الطبيعة البشرية .. وكيف تكون .. لا أريد أن أذكر أسماء .. ولكننى استيعد ذكرى مؤلمة .. فقد وجدت بعض زملائى فى ذلك الوقت .. يطلقون زوجاتهم ايثارا منهم للبقاء فى السلك الدبلوماسى عن الوفاء لشريكات عمرهم ..

*** وماذا فعلت أنت ؟**

ـ أنا صممت أن ارتبط بالانسانة التى احببتها .. وأحسست معها بالارتياح وفعلا تزوجنا وتركت السلك الدبلوماسى .. وانتقلت للعمل بوزارة التجارة والصناعة .. ثم عينت بعد عدة سنوات مديرا لمصلحة الفنون ..

كانت زوجتى متزوجة من زوج سابق ولها ولدان .. وكانت منفصلة عن زوجها ..

*** واذا سألتك عن عيوب الزواج من زوجة أجنبية .. فماذا تقول ؟**

ـ هناك عقبات كثيرة اعترضتنى أنا وزوجتى الفرنسية ناتجة من

الاجراءات التى لابد من استيفائها من فترة لأخرى لتجديد اقامتها كل ثلاث سنوات . وأعتقد أن عيوب الزواج من اجنبية تتمثل فى القوانين والتعقيدات التى تضعها بعض الدول فى مثل هذه الحالات .. ولا تكمن فى جوهر الزواج نفسه .. فزوجتى الفرنسية فنانة مهتمة بتاريخ الفن .. تتبع المعارض .. وعلى علم بحركة النشر والتأليف فى العالم .. وبعد زواجنا اكتشفت فيها مواهب فنية كثيرة .. فهى نحاتة عظيمة .. تشكل السيراميك فى تماثيل واشكال رائعة .. وبسهولة وسلاسة .. دون أى معاناة .. وهى تكتب ايضا .. ولا أخفيك سرا أننى أشعر فى بعض الأحيان بالغيرة من المستوى العالى لموهبتها سواء فى الكتابة أو النحت ..

*** ويصف يحيى حقى زوجته بأعجاب شديد .. فيقول عنها :**

- وزوجتى ملتحمة بالطبيعة التحاما تاما .. وأنا فى الحقيقة لم أجد مثل هذا الالتحام فى كثير ممن عرفتهم من المصريين أو غير المصريين .. فهى مثلا دائمة البحث عن الزهور .. وبالاضافة الى التحامها وحبها للطبيعة فهى منظمة جدا .. دقيقة جدا .. عندها رغبة دائمة فى الوصول الى الكمال فيما تفعله .. لا تؤجل أى عمل إلى الغد .. بل تنجز كل شيء فى وقته ..

*** ويقول يحيى حقى :**

- ولذلك .. فقد كان وجودها هاما جدا فى حياتى اللى كلها سبهللة ..

نعمة .. طبعا

*** قلت :**

- بعد هذه السنوات الطويلة التى قضيتها مع زوجتك الفرنسية ..

ماذا تقول عن الزواج فى حياة الفنان أو الأديب .. هل هو نعمة .. أم نقمة ؟

ـ أظن اننى لو استعرضت فى ذاكرتى أسماء كبار الكتاب والفنانين فسوف أجد معظمهم متزوجين .. ممكن « يبدلون الزوجات » لكن تمر فى حياتهم فترات كثيرة وهم متزوجون .. فالبنى آدم قبل أن يكون فنانا .. فهو انسان يحس بحاجته إلى الاستقرار .. وخلال حياته لابد أن يلتقى بالشخص الذى ينجذب اليه فيتزوجه ..

*** ويستكمل الكاتب الكبير كلامه .. قائلا :**

ـ أما بالنسبة لى شخصيا فقد أفادنى الزواج جدا .. فزوجتى قرأت جميع محتويات مكتبة المركز الفرنسى هنا فى مصر .. وهى خبيرة فى الأدب النرويجى والسويدى والفنلندى .. فكانت تقرأ على ولا تزال كثيرا من هذه الأعمال .. وبواسطتها أتابع الكثير جدا من حركات الأدب فى العالم ..

*** وعندما نتكلم عن الأبنة الوحيدة « نهى » .. هل ورثت موهبة الأدب عن والدها .. الكاتب الكبير يحيى حقى .. ولماذا أهديتها كتابك الأخير « كلام فى الحب والناس والمجتمع والدنيا »؟..**

ـ « نهى » تعمل الآن معدة برامج بالتليفزيون .. وابنتى هذه تجرى دماء مختلفة فى عروقها .. فهى مصرية .. فلاحة .. انجليزية .. عربية .. تركية .. نسبة إلى أجدادها من أمها ومن أبيها ..

أما بالنسبة لموهبة الأدب .. فهى عندها استعداد أدبى جيد وأخيرا وافق التليفزيون على اخراج قصة كتبتها اسمها « اللقاء الثانى »..

وقد أهديت « نهى » كتابى الأخير لشعورى بأن هذا ما كان يجب

عمله من زمان ..

*** بعد أن كلمتنا عن « نهى » الأبنة .. فماذا عن الأم فى حياة أديبنا يحيى حقى ؟..**

ـ كان لأمى دور كبير جدا فى حياتى .. وقد تأثرت بشخصية والدتى جدا .. لانها كانت سيدة متدينة .. وثانيا .. كانت تجيد القراءة والكتابة لانها تعلمت فى الكتاب فى قرية المحمودية بمحافظة البحيرة .. وأنا شخصيا مهتم جدا بالكتاتيب فى مصره فالتعليم فى الكتاب كان عظيما .. والفارق شاسع بينه وبين التعليم الأولى الآن ..

نعود الى أثر والدتى .. فأقول انها كانت قارئة جيدة جدا تقرأ الشعر وتتلو القرآن الكريم .. ربتنا على صفة ممتازة جدا .. هى أن نحافظ على شعور الناس .. ولا نخدشه أبدا .. حتى ولو على سبيل المرح أو الدعابة ..

*** ويبتسم الكاتب الكبير ويقول :**

ـ أذكر أننى ضحكت يوما عندما رأيت سيدة بدينة .. فغضبت منى أمى .. وكانت حزينة جدا لأننى فعلت ذلك ..

لهذا .. فقد أخذت عنها هذه الصفة الجميلة .. وهى أن أحاول إراحة أى انسان امامى .. ولا اضايق أحدا مهما كلفنى ذلك من ضغط على اعصابى فى بعض الأحيان ..

وهذه الصفة أفادتنى كدبلوماسى جدا .. وأفادتنى ايضا فى قبول واستيعاب تصرفات الناس .. بتركيباتهم النفسية المختلفة .. وهذا بالطبع انعكس فى كتاباتى التى يغلب عليها التحليل والتأمل .. وفوق هذا وذاك .. فقد أفادتنى كانسان .. أتسامح وأبرر تصرفات الناس ..

نزعة الاعتراف

*** أستأذن استاذنا الكبير فى العودة مرة أخرى للحديث عن الكتابة والأدب .. وابادره بسؤال قد يبدو غريبا ..**

ـ لماذا تكتب ؟

*** ويرسل يحيى حقى بنظرة تأمل تستغرق لحظات .. ثم يقول :**

ـ هناك نزعه غريبة جدا عند الانسان .. اسمها نزعة الاعتراف .. تكمن هذه النزعة فى الشعور بالذنب .. وهو الشعوب الذى يجعل الانسان يريد أن يعترف .. وهذه النزعة تلازمها نزعة اخرى عند الفنان هى الرغبة فى التعبير عن الذات .. والقدرة على هذا التعبير .. وأنا أزعم أن لدى الرغبة والقدرة على التعبير .. ولهذا أكتب ..

*** لماذا لم تكتب الرواية الطويلة ؟**

ـ الله سبحانه وتعالى أعطى كلا منا السعادة فى شكل من الأشكال .. أعطى واحد مالا .. وأعطى آخر صحة .. وهكذا ..

والرواية الطويلة محتاجة لخيال واسع .. لم ينعم الله على به .. ووجدت نفسى ميالاً للتأمل .. تأمل نظرة عين .. زهرة .. طائر .. حيوان .. ثم وجدت عندى أيضا القدرة على أن أجد فى اللغة العربية الفصحى التعبيرات وتركيبات الجمل ووحى الألفاظ مما يعطى القارىء نفس الانطباع الذى حدث فى قلبى .. فهذان هما العكازان اللذان استند اليهما فى انتاجى ..

*** قال د . على شلش .. الناقد الأدبى ذات مرة .. إن أدب يحيى حقى ما زال فى الحقيقة مجهولا وغير مكتشف .. فإن ما نشره من**

كتب لا يمثل واحداً على عشرة من كتاباته المتناثرة .. فهل هذا صحيح ؟..

ـ صحيح مائة بالمائة .. ولكن هذا الموقف صحح أخيرا .. عندما اتفق معى د . الشنيطى رئيس الهيئة العامة للكتاب لاعادة طبع اعمالى كاملة فى ١٧ كتابا .. وهذا ما بدأته الهيئة معى ثم تابعت هذا العمل الكبير بنشر المجموعة الكاملة لأعمال كبار الكتاب أمثال يوسف السباعى ويوسف ادريس وثروت اباظة وغيرهم .. وهذا فى رأيى عمل هام جدا .. لأن معظم اعمالنا الأدبية طبعت فى الماضى طبعات شعبية .. وكانت تباع على الأرصفة وعلى سور الأزبكية .. وليست فى المكتبات .. ولذلك فقدت هذه الأعمال بالنسبة لأى قارىء يريد أن يدرس أدب أى كاتب من هؤلاء .. وكذلك أمام الحركة النقدية الموجودة .. واللازمة لوجود حركة أدبية .. فالناقد لابد أن يجد الكتاب تحت يده حتى يستطيع أن يحلله وينقده .

*** ويستطرد الكاتب يحيى حقى .. قائلا :**

ـ ولذلك فأنا أحيى هيئة الكتاب على هذا العمل العظيم الذى تقوم به من أجل الحفاظ على الانتاج الفكرى لأدبائنا وحمايته من الزوال والاندثار .. وأشكر بكثير من التقدير صديقى العزيز فؤاد دوارة ـ الناقد المسرحى المعروف ـ لانه اقترح ان يتولى منفردا وبدون أى اعانة منى .. مهمة البحث عن هذه المقالات .. ومراجعتها ونسخها بعد تصحيحها من الأخطاء المطبيعة . فهى مقالات ولوحات أدبية .. كنت قد نشرتها فى جرائد ومجلات مختلفة ..

وقام فؤاد دواره فعلا بمجهود كبير جدا ـ فقد قسم هذه المقالات الى

أقسام تضمن وحدة الكتاب الواحد .. من حيث الأفكار والموضوعات التى تناولتها تلك المقالات .. وكذلك كانت هناك نقطة أخرى هامة .. وهى أن هذه المقالات نشرت منذ أكثر من عشرين سنة .. ولابد أن بعض موضوعاتها لم تعد صالحة للنشر الآن .. وكانت تلك مهمة أخرى أضيفت الى الاستاذ فؤاد دوارة الذى راجع كل المقالات ووجد ان معظمها لا يزال صالحا للنشر ..

لغتنا ثرية جدا

*** لو تكلمنا عن الترجمة .. فدعنى أسألك عن دور الترجمة فى نظرك فى احياء الأدب والابداع العربى ؟**

ـ للترجمة أهمية كبيرة جدا لأكثر من سبب .. أولا : الانفتاح على الآداب الأجنبية والفكر العالمى .. ثانيا : احياء اللغة العربية بمعنى أن البحث فى قواميس اللغة العربية عند ترجمة أى عمل أجنبى يكشف اسرار هذه اللغة .. ويدرك المترجم أن اللغة العربية لغة ثرية جدا جدا .. ولكن هذا الثراء كان عبئا علينا بحيث يصعب الالمام بكل مفرداتها ومرادفاتها ..

فالكاتب عندما يكتبَ مقالة .. ويتعثر فى ايجاد جملة تعبر عن معنى فهو يستطيع أن يبحث عن جملة ثانية .. لكن اذا ترجم التزم امام ضميره وامام المولى سبحانه وتعالى ان يكون مترجما أمينا دقيقا .. فلابد أن يبحث إلى أن يجد المقابل العربى للفظ الأجنبى ..

*** ويضيف الكاتب يحيى حقى قائلا :**

ـ ويجب أن نذكر أن عندنا تاريخا كبيرا فى الترجمة بدأ منذ أيام

المأمون .. وفى العصر الحديث كان من رواد حركة الترجمة ابراهيم عبدالقادر المازنى .. الذى كان يبهرنى وأنا أراه يترجم مباشرة ويده على الآلة الكاتبة .. يقرأ ويداه تضربان على مفاتيحها .. أما أنا فكنت أحيانا أخبط رأسى فى الحائط لأننى أبحث عن معنى كلمة أعرف معناها ولكنى أبحث عن اللفظ المقابل بالضبط .

*** ويستكمل كاتبنا الكبير شرحه لصعوبة الترجمة .. قائلا :**

- وقد يتصور البعض أن ترجمة المسرحيات أسهل .. ولكنها على العكس .. أصعب جدا .. لأن لغة الحوار متشبعة ومعجونة بالمصطلحات الشعبية .. وتعبيرات كل شعب .. والايحاءات الخاصة التى لا يفهمها الا أهل هذا البلد نفسه .. وحتى لو حاولت ايجاد تعبير شعبى يقابله .. تواجه بصعوبة بالغة ..

*** وهل هناك علاقة بين قضيتى الاهتمام بالترجمة واحياء التراث العربى .. أو بمعنى آخر .. هل ترى تعارضا بينهما ؟..**

- لا .. على العكس .. فالتراث العربى هو مادتنا الأولية .. ولغتنا العربية من أقدم اللغات فى العالم .. ومن أثراها ايضا .. واللغة العربية مقدسة ايضا لانها مرتبطة بالقرآن .. ونحن محتاجون لكى نعرف القيمة الكبيرة للغة العربية أن نرجع الى الوراء ١٤ أو ١٥ قرنا ، أن نقرأ القرآن .. وأن نقرأ الشعر الأموى والعباسى والشعر الجاهلى ..

*** ويستطرد يحيى حقى قائلا :**

- يعنى لو قارنت بين شاب عربى مثقف وشاب انجليزى مثقف .. تجدين انه مستحيل أن يمد الشاب الانجليزى يده الى مكتبته ويخرج كتابا عمره ٤ أو ٥ قرون إلا اذا كان متخصصا .. لكن المثقف العربى من

السهولة أن يجد كتابا عمره اكثر من عشرة قرون ..

ولكن ربما المشكلة التى تواجه اللغة العربية هى مشكلة المصطلحات العلمية .. فلم يكن عند العرب مثل هذه المصطلحات مثل التلكس والتلغراف .. والكمبيوتر .. فهذا يمثل شيئا من الارتباك .. فإما أن نأخذ اللفظ الأجنبى كما هو .. وإما أن نحاول ايجاد مقابل له فى اللغة العربية ..

أنا غورى ١٠٠٪

*** ثقافتك .. كما يقال عنك .. هى مزيج من القاهرة وباريس .. ولذلك فان كتاباتك تفوح منها رائحة عطور السين وبخور الغورية .. فما قولك ؟**

ـ ليست هناك رائحة تفوح من كتاباتى أقوى من رائحة الغورية .. أنا لست الا غوريا مائة بالمائة .. فأنا مولود فى حى السيدة زينب .. ولهذا كتبت « قنديل أم هاشم » فجذورى الأساسية نمت هنا .. وهى التى تؤثر فى كل ما أكتب ..

*** لماذا اخترت جامعة المنيا بالذات لتهديها مكتبتك ؟**

ـ لانها الجامعة التى منحتنى تقديرا عظيما .. عندما منحتنى الدكتوراة الفخرية ..

*** وما هو شعورك وأنت تحصل على وسام الفارس الذى منحته لك وزارة الثقافة الفرنسية عام ١٩٨٥ ؟**

ـ هو شعور أى انسان يلقى التقدير الأدبى بعد جهد كبير ويجد من يقول له : شكرا ..

*** فى كتابك الأخير « هموم ثقافية » تقول .. إننا نتعلم ولكننا لا نتثقف .. فما هو مفهومك للتعليم والتثقيف ؟ وكيف ننمى حب الثقافة من جديد فى أجيالنا المقبلة ؟**

ـ أنا رأيى الا نخضع لربط الثقافة بالكتاب .. بل أعلم الأطفال منذ طفولتهم الاتصال بالكون والطبيعة .. فهى أهم مصدر من مصادر الفنون والثقافة والوعى .. فليست الثقافة بين الكتب فحسب .. بل ان الاستغراق فى القراءة فقط يعتبر خطأ كبيرا .. لأن ذلك يبعد الانسان عن الاتصال بالكون وبالحياة من حوله .. كذلك لابد أن يكون هناك صلة بين الفنانين من مختلف أفرع الفن .. حتى يثرى كل فن بالفنون الأخرى ..

أنا أعتبر المسرح من أهم الفنون .. لانه لا يمثل ظاهرة فنية فقط .. بل هو ظاهرة اجتماعية ايضا .. فرب الأسرة يصطحب زوجته وأولاده ويذهبون الى المسرح .. أى ان هناك مشاركة اسرية فى الاحساس بهذا العمل الفنى .. والمسرح يخاطب المشاهد رأسا .. والمسرح قديما اعتمد على الغناء لجذب الناس اليه .. ويرجع الفضل الى الشيخ سلامة حجازى فى انه اول من جر رجل المرأة المصرية الى المسرح .. ثم كان يوسف وهبى بفواجعه ومآسيه .. بعد ذلك رأينا المسرح الفكاهى الذى يهدف للاضحاك فقط .. ولكننا نرجو أن تتطور هذه النوعية وتقدم المسرح الهادف ..

*** وما هى عناصر هذا المسرح الهادف الأساسية ؟**

ـ الصدق .. والايمان برسالة المسرح .. وتقديم الاستعبار من خلال الاعمال المقدمة .. وهذا فى رأيى نوع من التثقيف النفسى ..

*** اذا سألنا يحيى حقى .. ماذا تقرأ الآن ؟**

ـ أنا فى الحقيقة أقرأ بصعوبة جدا الآن .. وزوجتى تقرأ لى ويغنينى الراديو .. فعندنا برنامج ثقافى هو البرنامج الثانى يقدم مادة ثقافية جميلة جدا .. ويقدم نقدا من المجلات العالمية والعربية لأحدث الكتب والدراسات والمؤلفات ..

الشيخ حبة

*** ويتوقف شيخ القصة القصيرة للحظات .. ثم يقول :**

ـ وأنا مغرم الآن باذاعة القرآن الكريم .. خاصة البرنامج العظيم الذى يقدمه الشيخ « حبة ».. هذا الرجل متبحر فى علم اسمه علم « التجويد فى القرآن ».. وهو علم يعلمك كيف تنطقين الكلمة فى القرآن .. علم خطير .. ورجل عظيم الذى يقدم البرنامج .. لدرجة اننى أتمنى أن أراه لأقبل يده لهذا العلم الوفير الذى استقيه منه ..

*** وماذا تسمع أيضا فى الاذاعة ؟**

ـ استمع فى الصباح المبكر جدا الى أكثر من خمس اذاعات أجنبية وعربية ومصرية لمتابعة الموقف العربى والعالمى .. وأحب أن استمع إلى مشاكل الناس من خلال برنامج « همسة عتاب »..

*** وكيف تقضى وقتك ؟**

ـ أزور المعارض الفنية وأذهب مع زوجتى إلى مكتبة مصر الجديدة .. وهى مكتبة عظيمة بها كتب قيمة جدا .. وكذلك نذهب الى المركز الثقافى الفرنسى لمتابعة الحركة الثقافية والفنية هناك ..

*** لو سألنا يحيى حقى .. بمن تأثرت من الكتاب العرب أو .. العالميين .. فماذا تقول ؟**

- تأثرت بكل الكتاب من امرؤ القيس وحتى الآن .. ولكن ابن المقفع عندى هو استاذ الاسلوب النثرى .. وبلغ القمة فى « كليلة ودمنة ».. والجاحظ طبعا هو امام الاسلوب العربى ..

أما بالنسبة للكتاب العالميين فأنا أحب جدا « بيتون ستارتجى » وهو مؤرخ وأديب انجليزى .. واستمتع جدا بكتاباته لأننى أشعر أن اسلوبه وكأنه موزون بميزان من ذهب ..

*** ويستطرد الكاتب قائلا :**

- وأنا عموما متأثر بالاسلوب الانجليزى أكثر من الفرنسى لانه يعتمد على الخط الذى أحبه فى الكتابة .. وهو التحليل والوصف ..

*** السؤال الأخير الذى أختتم به رحلتى مع الكاتب الأديب يحيى حقى .. يدور حول الأمل الذى يعيش الآن له .. والأمنية التى يتمنى ان يراها وقد تحققت ؟**

- ينظر يحيى حقى نظرة تملؤها الأسى .. ويقول بانفعال :

- مجرم من يفكر فى نفسه الآن .. فما وصلنا اليه الآن سواء فى مصر .. أو فى كل البلاد العربية والاسلامية شيء يدعو الى الحزن .. فالمشاكل والنزاعات والصراعات التى نعيشها الآن .. افقدتنا لذة الحياة والوجود ..

وأمنيتى هى أمنية كل انسان يعيش فى هذه المنطقة .. وهى أن تنتهى الغمة .. وأن تتوقف الهجمات الشرسة على مصر والدول العربية .. فالموقف العصيب الذى نعيشه كعرب وكمسلمين لم يعد يرضى أحداً ..

* * *



أحمد بهجت :

لا يوجد زوج
سعيد على الكرة الأرضية



هو نموذج خاص جدا من الكتاب المفكرين .. فى صومعة جميلة .. ذات شخصية مميزة .. وفى عزلة شبه تامة بعيدا عن ضوضاء المدينة وضجيجها يعيش .. ليفكر .. ويتأمل ويكتب ..

متزوج .. له ولدان .. ولكنه يعيش فى كهفه الخاص الذى اختاره بنفسه .. وتعيش أسرته فى بيت آخر .. وتجمع الصداقة والحب الشديد بينه وبينهم ..

هو أديب .. وأيضا صحفى ..

وهو .. كاتب اسلامى متصوف .. وكاتب ساخر لاذع .. هو يعيش الوحدة أحيانا .. ولكنه يأنس بوجود « سلطان باشا » كلبه الأصيل الذى اشتراه من سلالة انجليزية عريقة ..

كل جدران شقته « الصومعة » حولها إلى مكتبة كبيرة .. على أرففها تراصت مئات المراجع والموسوعات والكتب القيمة والروايات العالمية والقواميس ، وفى أركان البيت المزين بديكور اسلامى جميل .. القيمة الأساسية فيه هى قطع الأرابيسك .. كانت السيوف والخناجر تكمل

اللوحة . . والسجاد الايرانى المحفور عليه الآيات القرآنية يفترش فى كل مكان . .

بين هذا الجو الخاص جدا جرى حديثى الطويل مع الكاتب أحمد بهجت وعلى مدى لقاءات عديدة امتد جوارنا الشائق ليمس أعماقا بعيدة وتأملات عجيبة فى الدنيا والآخرة . .

*** سألته : أين تجد نفسك أكثر بين هؤلاء : أحمد بهجت الكاتب الصحفى الساخر .. الكاتب الاسلامى المتصوف .. كاتب القصة القصيرة ؟.**

فأجابنى قائلا :

ـ الحقيقة أنا أجد نفسى فى الثلاثة ولكن ليس بنفس النسبة . . يعنى مثلا أنا أحيانا أجد نفسى منساقا الى الكتابة الساخرة . . الموضوع هنا يكون هو الذى يفرض على هذا الاتجاه . . كأن تمرى مثلا بموقف من المواقف التى يطلق عليها المصريون لفظ « مسخرة » وتجدى أن هذه المسخرة تحدث فى مكان لا ينبغى أن يكون فيه أى مسخرة على الاطلاق مكان كل الناس اللى فيه محترمين . . أو من الذين نطلق عليهم ذوى القبعات العالية . . ففى هذا الموقف أشعر أننى منساق للكتابة فى الموضوع بشكل ساخر . . لانه موضوع يفرض على هذا الاسلوب . .

ـ أعظم كاتب :

ـ أما القصة القصيرة . . أنا كنت أتمنى أن اقتصر على كتابة القصة القصيرة . . كان نفسى أكون كاتب قصة قصيرة . . وكان المثل الأعلى فى ذهنى هو انطون بافلوفيتش تشيكوف . .



فى ركن من أركان شقته .. أقصد « صومعته » .. يجمع السيوف والخناجر .. وهى هواية من هوايات أحمد بهجت العديدة

* ويشير الى صورة معلقة على أحد جدران بيته أو صومعته ويقول :

ـ ولذلك تجدين أن صورته هى الصورة الوحيدة التى علقتها فى البيت مع صورة أبى .. وغيرهما .. لم أضع أى صور فى بيتى ..

* ويستطرد قائلا :

ـ لاننى أحبهما جدا وبشكل متقارب .. وأنا أحب تشيكوف لانه نبيل

نبلا لا نهاية له .. ويبدو منه هذا فى الكتابة .. ويبدو أيضا هذا فى تعاطفه مع الشخصيات وحياده العظيم بينها ..

*** ويستطرد أحمد بهجت قائلا :**

ـ أبويا كان عنده نفس النبل .. كان عنده نبل داخلى غريب جدا لا يعبر عنه أبدا .. ولا يتكلم فيه .. شعرت بعد ما كبرت بهذه الصفة فيه .. فعندما كنت صغيرا .. كنت أتهمه بأنه طاغية وأنه جبار لأنه بيضربنى كثيراً .. ولكن لما كبرت فهمت ..

*** وتمر لحظات صمت .. أشعر فيها .. وكأن الماضى جذب أديبنا المتأمل الى سنوات طويلة مضت .. وفجأة يعود الى الحديث ، ويقول :**

ـ فأنا أجد نفسى فى الانواع الثلاثة من الكتابة حسبما تفرض موضوعية الحدث .. انما فى الكتابة الدينية بالذات .. أشعر بشىء آخر .. احساس مختلف تماما .. فأنا أزعم أننى أحب الله تعالى .. وأنا لا أعرف فى الحقيقة هل أنا أحب الله تعالى حقا .. أم أننى كاذب ؟.. لماذا .. لأننى لا أقوم بما يطلبه الله من المؤمن .. وأنا ازدرى فى عينى كل ما أقوم به حتى من الطاعات .. فأنا ارى كل ما أفعله أمام المنن الآلهية وألوان الكرم الألهى شيئا بسيطاً جداً .. ما عبدنا الله حق عبادته .. وما شكرناه حق شكره وما حمدناه حق حمده .. ولا أطعناه حق طاعته ..

ولذلك فاننى أشعر وأنا أكتب كتابات دينية أننى ربما أحاول استكمال هذا الوجل أو الخوف الداخلى .. كأننى اتقرب الى الله تعالى بالقول . إذا لم استطع أن أتقرب اليه بالفعل ..

- أنا ضعت :

*** ويستطرد قائلا :**

- ومرة قلت لنفسي يا ترى الكتابة دى تعتبر فعل وتضاف يوم القيامة فى ميزان الحسنات .. أم أنها ستعتبر قولا .. وهذا القول يصدقه أو يكذبه العمل .

*** ويضحك الكاتب الساخر أحمد بهجت ويقول :**

- على العموم أنا حاعرف يوم القيامة الكتابة دى اتحسبت قولا أو فعلا .. ولو كانت قولا .. فأنا ضعت ..

ففى الكتابة الدينية أشعر رغم احساسى بأن القراء لا يسعدون بنفس القدر الذى يقرأون به الكتابة الساخرة أو القصة ، الا أننى أشعر باحساس مختلف تماما .. أشعر فى هذه الحالة كما لو أننى أخاطب الله تعالى ولو من بعيد ..

والانسان جوانب مختلفة ، أخطر وأهم جانب فيه هو العبودية .. وهنا أحب أن أذكر لك حكمة لـ « محمد بن عبدالجبار النفرى ».. قال :

- « اذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة »..

فنحن نجد أن كبار العارفين بالله لا يتكلمون .. واذا تكلموا يذكرون القليل جدا .. فماذا يقولون .. عندما يعجز التعبير عن وصف ما يعرفون عن عظمة الخالق ..

- للمشاهير فقط :

*** قلت ذات مرة انك دخلت الصحافة من باب القصة القصيرة ..**

ولكنك رغم ذلك أمضيت ٢٥ سنة في عالم الكتابة والصحافة .. وألفت ١٨ كتابا قبل أن تنشر مجموعتك القصصية الأولى .. لماذا ؟.

ـ السبب أن الصحافة المصرية لا تنشر قصصا قصيرة الا للكتاب المشهورين ، وقالوا لى كده فعلا سنة ١٩٥٧ وكان عمرى وقتها حوالى ٢٥ سنة . كان هناك وقتها مجموعة محتلة باب القصة القصيرة بغض النظر عما يقوله هذا المشهور .. ولذلك أدركت أن الجرائد لا تريد كتابا ولكنها تريد فواعلية يتحركون ويغطون الأحداث ويكتبون الأخبار السريعة اليومية .. فبدأت أعتبر القصة القصيرة هى الحب الذى يجب تخبئته .. ولكنى استغللت القصة القصيرة فيما اكتبه من موضوعات صحفية .. فانا عنيد جدا من الداخل رغم أن مظهرى قد يوحى بأننى شديد الاستسلام ..

يعنى لو فيه فى دماغى فكرة وعايز أكتبها .. ممكن أحورها الى موضوع يشبه القصة .. ممكن أضعها فى أى شكل صحفى أضمن نشره ..

يعنى أنا أول ما بدأت حياتى الصحفية بدأت الكتابة بكتابة عمود تحت اسم « وجه فى الزحام » وقلت فى مقدمة هذه السلسلة ما يأتى :

ـ « هذا الوجه نفسه لو خرج من الزحام لحظة لأصبح قصة قصيرة ».

ـ وبدأت أكتب قصصاً قصيرة بأسلوب جديد .. فكنت أنزل وسط الزحام وهذا كان اقتراح الاستاذ محمد حسنين هيكل .. وادخل على أى شخص فى الشارع وأفرض نفسى عليه ! فالصحافة ـ كما تعلمين ـ تعلم الانسان أن يتمتع بقدر من التلامة لا يمكن تخيله .. فضول رهيب .. يشعر به الصحفى .. لذلك كنت آخذ وجه .. أى وجه فى الشارع ..

وأكلمه وأجرى معه حوارا ثم أكتب عن هذا الوجه قصة قصيرة ..

واشتهرت بالكتابة الانسانية فى بداية عملي فى هذا الباب .. فكنت أختار - سيدة مسكينة مثلا - خرج زوجها وترك لها خمس عيال بلا مأوى .. نجح الباب جدا .. وكنت بأقول كل اللى انا عايز أقوله فى القصة القصيرة فى باب « وجه فى الزحام ».. واستمر هذا الباب حوالى ثلاث سنوات ..

*** ويتوقف أحمد بهجت قليلا متأملا .. ثم يقول :**

- أنا متعجب كيف لم يظهر فى مصر ثلاثون او أربعون كاتبا مثل تشيكوف الكاتب الروسى العالمى .. فالظروف الاجتماعية فى مصر الآن تعطى مجالا هائلا للكتابة الانسانية التى تدفع الناس وتحركهم الى فعل شيء يغير من الواقع الذى يعيشونه ..

*** ويكمل حديثه قائلا :**

- واستمررت أكتب هذا الباب ثم بدأت أكتب صفحة كاملة فى « الأهرام » تحت عنوان « صورة مصرية » وهى قصص قصيرة ساخرة .. أو .. موضوعات فيها تكنيك القصة القصيرة .. تكنيك تشيكوف ..

■ زوجة قاسية :

*** أنت متأثر جدا بـ « تشيكوف »؟**

- طبعا .. لأنه من أعظم كتاب القصة القصيرة فى العالم .. وله مدرسة - عندما تقرأين له - تستطيعين فهم الناس أكثر .. فالأدب العظيم ليس سرد أحداث فقط .. انما يطلعك على حركة النفوس الداخلية بحيث انك تصبحين أكثر ثراء وأكثر غنى .. وتصبحين أكثر قدرة على تقبل الناس

وعلى فهمهم وعلى مسامحة اخطائهم وغفران زلاتهم . . فبعض قراء القصة فى مصر يكتفون بسرد أحداث لا تقول أى شيء . .

*** لم تصدر إلا مجموعة قصصية واحدة .. رغم حبك الشديد للكتابة فى القصة القصيرة كما ذكرت .. فلماذا ؟**

ـ لأن الصحافة زوجة قاسية جدا لا تقبل الا ان تنهك الزوج بالمتطلبات التى لا تنتهى . . ولا تترك له أى وقت . . وتصبح القصة أو الأدب فى هذه الحالة كالحب الذى يهرب اليه الزوج المتعب قليلا كلما سمحت الظروف . . ثم يعود مرة أخرى الى زوجته . . الصحافة . .

*** قلت فى أحد أحاديثك أن معظم أبطال قصصك يشتركون فى احباط هائل .. فهل هذا يعبر عن موقفك المتشائم تجاه الحياة ؟**

ـ اطلاقا . . أنا حين أكتب . . أكتب بالجزء الفنى الموجود بداخلى . . ولكن حين أقرأ كناقد . . فماذا ألاحظ ؟ أن الظروف الموجودة فى مصر الآن ـ وأنا عندما أقول الآن ـ لا أقصد هذه الفترة ولكن أقصد الثلاثين أو الأربعين سنة الماضية . . ففى هذه الفترة حدثت تحولات كبيرة فى مصر . . قامت الثورة . . وجعلت اللى كان فوق تحت . . واللى تحت أصبح فوق . . وواكبت هذه التحولات الضخمة ازدياد حجم الحلم فى مقابل ضآلة امكانيات تحقيقه . . وتكون النتيجة الحتمية لذلك هى الاحباط الذى يعيشه الانسان المصرى فى صور مختلفة . .

*** ويستطرد الكاتب أحمد بهجت قائلا :**

ـ عندما يكون الحلم شيئا والواقع مختلفا تمام الاختلاف وبعيداً عن هذا الحلم . . هنا يحدث الاحباط الهائل . . ومعظم ابطال قصصى

تجدينهم كلهم حلمهم اتكسر .. كلهم سحقوا بشكل أو بآخر ولم يبق منهم الا شوية أوهام .. أو شوية أحلام ..

■ لا .. للضوضاء :

*** هل تسمح لى أن أسأل سؤالا شخصيا الى حد ما .. أنت تعيش فى بيت وزوجتك فى بيت آخر .. فهل هذا يعبر عن فلسفة خاصة تؤمن بها للقضاء على الملل فى الحياة الزوجية .. أم ماذا ؟**

ـ المفروض أننى أعمل هنا ـ لأننى لا أستطيع العمل فى ضوضاء ولا فى وجود ناس ـ ولكى اشتغل لابد أن اقفل على نفسي وانزع فيشة التليفون .. أنا عندى ولدان .. واحد عايش معايا « محمد » وهو خريج معهد السياحة والفنادق وهو شاعر أصلا ونعمل معا .. فمثلا تمثيليات التليفزيون التى أكتبها وآخرها « صائمون والله أعلم » هو اللى كتب الأغانى بالشعر .. فاحنا علاقتنا علاقة اتنين اصدقاء ليس بينهما كلفة .. ثم ان عدم الالتصاق بالزوجة طول الوقت مفيد .. فأنا أعتبر أن بيتى هذا مكتب أو مكتبة .. أعيش فيه عزلة تامة لأنجز أعمالى .. فهناك قسوة فى العمل .. إما ان اشتغل أولا أشتغل .. والشغل محتاج لعزلة تامة .. شيئان فى الحياة محتاجان للعزلة الكاملة .. الكتابة والصفاء مع النفس .. أو التأمل الروحى .. فلا يستطيع الانسان أن يستمع لهراء العالم الخارجى وأن يمارس تأملاته فى الحياة .. فى نفس الوقت !.

ربما ما فعلته هو نوع من التحايل على الشكل التقليدى للزواج .. فأنت مثلا لو وضعت كتابا ملاصقا لعينيك فلن تستطيعي قراءة أو رؤية سطوره .. فلابد أن يكون هناك مسافة بينك وبين الشيء حتى تستطيعي

رؤيته . . وهذه المسافة فى رأيى مهمة جداً فى الزواج حتى يبقى الاحترام والشوق وعدم رفع الكلفة . . وأنا عندما تأتى زوجتى وابنى الثانى ويقضيان معى انا ومحمد اسبوعا اتفرغ لهم ولا أعمل اطلاقا . .

*** هل معنى ذلك انك استطعت بهذا الأسلوب أن تصبح زوجا سعيدا ؟**

ـ لا يوجد زوج سعيد على الكرة الأرضية . . هناك زوج يتصور انه سعيد . . انما السعادة على المستوى النظرى ممكن الاحساس بها . . ولكن على المستوى العملى مستحيلة . . ليه ؟ لأن السعادة معناها أن تتحقق كل رغباتك . . ودى مش حتحصل إلا فى الجنة . .

فأحيانا يعتقد الزوج أن الزوجة مخلوق صنعه هو . . بمعنى انها يجب أن تعرف كل ما يريده وتفعله فى الوقت الذى يريده . . وهذا طبعا مستحيل الا فى الجنة . . فعلى الأرض كل شيء نسبى . . وكل شيء محتاج لتنازلات . . وليس هناك سعادة مطلقة على الأرض . .

■ وهم كبير :

*** اذن لماذا تزوجت ؟**

ـ أنا تزوجت لأننى أحببت تحت تأثير وهم كبير بأن هذا الحب سيدوم إلى الأبد . . وربما يوم آخر بعد الأبد . . والمشكلة أيه ؟ ان نظام الزواج لا يوجد بديل له . . فهناك شبه اتفاق بين الفلاسفة والكتاب على أن الزواج نظام عملى . . ولكنه ليس النظام الأمثل . . ولا يوجد له بديل . . ولذلك فنحن مضطرون لقبوله . . فالكمال المطلق ليس موجودا على الأرض . . وانما الموجود هو الحلم بهذا الكمال المطلق . .

ولكن فى النهاية أقول أن الزواج هو الطريقة الشرعية الوحيدة لانجاب أطفال .. وهو الطريقة الوحيدة لهزيمة الاحساس بالوحدة أو بالغربة داخل الانسان .

*** وأنت ألا تشعر بالوحدة فى حياتك هذه ؟**

ـ طبعا أشعر بها أحيانا .. لكن .. ربنا ـ سبحانه وتعالى يسوق لى ملطفات تشعرنى بعدم الوحدة .. فمثلا وجود كلب أو قطة معى يشعرنى بأننى لست وحيدا .. وأشعر مع هذا الكلب براحة كبيرة جداً .. لانه ثمة تفاهم بينى وبين هذا الكلب دون كلام .. يعنى أحيانا ناس يخلطون بين حبى للحيوان وحبى للبشر .. ويقولون إنى باحب الحيوانات أكثر من البشر .. وهذا غير صحيح .. والحقيقة اننى معجب بصفة فى الحيوان .. وهذه الصفة هى الصمت .. ان الحيوان يستطيع أن يعبر لك بآلاف الوسائل دون كلام .. والكلام احيانا ينقص من قدر الأشياء .. فأحيانا يكون داخلك احساس ضخم ثم تحاولين التعبير عنه فيخرج صغيرا جدا .. وهزيلا .. فالوحدة تعتبر حلا ..

▪ لا أندم :

*** معنى هذا أنك لا تندم أبدا على انك اخترعت هذه الوسيلة الجديدة للحياة الزوجية ؟**

ـ ليس هناك ندم ولا حاجة .. لما أحس أنى عايز اشوفهم اتصل بيهم بالتليفون .. وأقولهم ييجوا يقعدوا معايا ..

*** ويستطرد قائلا :**

ـ أنا أصلى طردت من بيتى .. كان عندنا شقة صغيرة فى عابدين .. كان عندى مكتبة امتلأت بالكتب ثم امتلأت حجرة النوم بالكتب وبدأت

أزحف على الصالة ..

ثم انني كنت أقرأ فى السرير حتى الساعة السابعة صباحا كل يوم ولذلك كان عندنا حجرتان للنوم .. وبعدين مراتى قالت لى .. ده بيت مش كتبخانة .. فاضطررت لأن أستأجر شقة فى الاسكندرية ونقلت مكتبتى كلها هناك .. وكنت سعيدا بهذا .. وكل ما أحب أكتب حاجة أسافر إلى الاسكندرية .. وبمرور الوقت بدأت أشعر اننى متزوج باثنتين واحدة فى القاهرة والثانية فى الاسكندرية .. وبدأت أبحث عن شقة فى القاهرة ووجدت هذه الشقة .. وقررت أن أحولها الى مكتب متكامل فيه كل شىء أحتاج اليه .. كل الكتب والمراجع والموسوعات والقواميس بحيث لو أحتجت للتأكد من أى معلومة وأنا اكتب .. استطيع بسهولة الرجوع الى المرجع المناسب ..

وبالفعل كانت هذه الشقة ـ كما ترين ـ صومعة ممتازة للكتابة ..

وأنا أعتقد أن الفكرة دى انقذت حياتى الزوجية .. فنتيجة شعورى بالذنب تجاههم فلا أؤخر لهم طلبا .. ظريف جدا معاهم .. وأقضى بينهم وقتا مريحا عندما نلتقى جميعا ..

ـ الأدب أبقى :

*** ننتقل إلى الكتابة مرة أخرى .. هل تعتبر نفسك أديبا احترف الصحافة .. أم صحفيا يهوى الأدب ؟**

ـ أنا أقول بين الصحفيين أننى أديب .. وبين الأدباء أننى صحفى ..

*** وبينك وبين نفسك ؟**

ـ ويضحك قائلا :

ـ لا أقول شيئا . ر والله أنا متواضع جداً بينى وبين نفسى .. ولكن يمكن الجانب الأدبى أكبر داخلى .. وقراءاتى أكثر فى الأدب .. وأعتبر الأدب هو الشيء الباقى .. فأنا أقرأ « تشيكوف » أو « جوجول » أو « ديستويفسكى » فأشعر أنهم يتحدثون عن ناس فى مصر .. « جوجول » مثلا له كتاب « نفوس ميتة ».. هذا الكتاب كتب جوجول الجزء الأول منه ثم الجزء الثانى منه ثم احرقه بالكامل .. لانه شعر بعدم الرضاء عن العالم كله .. والرغبة فى عالم آخر .. وكانت هذه مرحلة انجذاب .. وخرج من دائرة الرغبة فى الحياة ..

وعندما تقرأين هذا الكتاب تشعرين بأنك تطوفين الريف المصرى وتقابلين شخصياته .. وهذه هى عظمة الأدب انه يشعر قارئه بأنه يتحدث عنه رغم اختلاف المكان والزمان ..

* * *





مفيدة عبدالرحمن :

كنت أمسح حذاء زوجى

ثم أنزل لمقابلة عبدالناصر !



قصتها .. ملحمة رائعة .. معزوفة جميلة .. تناثرت نغماتها فى تآلف نادر .. بحساب السنين تجاوزت هذه السيدة السبعين من عمرها .. أما بحساب الخبرة والعطاء .. ومقياس النجاحات والمجالات الهامة التى ارتادتها .. والعمل المتواصل بلا كلل أو ملل .. فانها تعترف بأنها تشعر كما لو كانت قد عاشت مائة وخمسين سنة .. فما مر عليها من تجارب كثيرة .. وما أعطته ولا تزال تعطيه شيئا عظيما تفخر به أى امرأة .. أو بالأدق أى انسان ..

انها الاستاذة مفيدة عبدالرحمن .. المحامية المصرية التى استطاعت أن تحتل مكان الريادة فى أكثر من موقع خلال حياتها العريضة .. كانت أول فتاة تدخل كلية الحقوق عام ١٩٣٥ .. ثم كانت بعد تخرجها . أول من تمارس المحاماة ، وتفتح مكتبا خاصا بها .. وأول سيدة تشغل منصب عضو بمجلس ادارة بنك الجمهورية فى ابريل ١٩٦٢ . وأول سيدة مصرية تستمر عضوا بمجلس الأمة ١٧ عاما متصلة .. وأول محامية فى

العالم العربى تترافع أمام المحاكم العسكرية العليا .. وأول محامية تقيد بالنقض .

ورغم الحياة العملية القاسية التى اختارتها لنفسها .. فقد استطاعت أن تحل المعادلة الصعبة التى تعجز معظم السيدات عن حلها .. فقد كانت زوجة سعيدة جدا .. وقصة زواجها الذى دام حوالى ٤٨ سنة ونصف السنة - الى أن توفى زوجها المرحوم محمد عبداللطيف - كانت ملحمة حب رائعة .. ومثلا راقيا للحياة الزوجية القائمة على الاحترام المتبادل والتضحية المتبادلة .. والعطاء بلا حدود من الطرفين ..

فهذه السيدة التى كانت فى يوم من الأيام عضوا بارزا بمجلس الأمة ومحامية مشهورة جدا .. تعمل صباحا ومساء بلا توقف أو راحة .. كانت ايضا أما لتسعة أولاد !! وزوجة صالحة محبة جدا لزوجها الذى تدين له بكل الفضل فى تشجيعها ودفعها للدراسة ثم للعمل ..

*** « كنت أنزل لمقابلة جمال عبدالناصر ومعه بومدين .. أو خروشوف وأنور السادات ، وقبل أن أغادر منزلى لمقابلة هؤلاء العظماء كنت أمسح حذاء زوجى بيدى .. ورغم أن بيتى كان به خدم الا أننى كنت أحب أن أشعره بأننى زوجته قبل أن أكون محامية مشهورة أو عضو مجلس أمة بارزة »..**

هكذا تروى مفيدة عبدالرحمن لمسة من اللمسات الرائعة فى حياتها السعيدة التى كان يحسدها الجميع عليها ؟.. ورغم كل نجاحها العملى فقد حققت أسطورة الجمع بين السعادة الكاملة فى الزواج والوصول الى قمة النجاح فى العمل فى آن واحد ..

قالت لها كوكب الشرق أم كلثوم ذات مرة :

أتمنى أن أرى ألبوم الخطابات الخاصة بينك وبين زوجك .. فقد كانت لهذا الألبوم قصة .. فعندما كانت تسافر مفيدة عبدالرحمن لتمثل مصر فى المؤتمرات العالمية سواء البرلمانية أو النسائية .. كان زوجها يحزن جدا لفراقها ، ولكنه يشجعها ويدفعها للسفر لكى تستمر فى نجاحها وتشرف أسم مصر فى الخارج .. ورغم ألم بعادها عنه فقد كان فخورا بها .. وكانا يتفقان على أن يرسل كل منهما خطابا للآخر كل يوم ..

وأحتفظ كل منهما بألبوم الخطابات الخاصة .. حتى الآن .. وحتى بعد وفاة الزوج تحتفظ مفيدة بالألبومين .. وتقول .. لا أعرف كيف أحميهما .. أخشى أن أموت ويصبحا فى متناول الأيدى وأنا أعتبرهما مقدسين ، ولابد أن يكونا فى مكان لا يصل اليه أحد .. ولكن كيف ؟! لا أعرف .

ماما مفيدة

إلتقيت بالأستاذة مفيدة .. أو ماما « مفيدة » كما تحب أن يناديها كل من يعملون معها أو يعرفونها ..

قلت لها .. أريد أن أستمع إلى قصتك الرائعة مع الحب والعطاء والنجاح ..

وفتحت ماما « مفيدة » لى قلبها

« كأنها ١٥٠ سنة »

* سألتها :

- كيف استطعت الجمع بين السعادة الزوجية طيلة هذه السنين

والنجاح الكبير الذى حققته فى حياتك العملية كمحامية وكشخصية عامة معروفة .. لها بصماتها ؟..

*** وبهدوء بدأت ماما مفيدة الاجابة .. قائلة :**

ـ أنا قضيت الآن من عمرى ٧٥ سنة .. كأنى قضيت ١٥٠ سنة .. لأنها كلها كفاح وجهاد وتعب .. لكنها سعادة .. يعنى أنا دلوقت .. لو الطبيب قال لى أقعدى فى البيت .. أستأذنه أنى آجى أقعد فى المكتب ولو أظل فى غرفة الاستراحة لأنى لا أستطيع البقاء فى البيت ..

*** وتستطرد ماما مفيدة قائلة :**

ـ وأنا نشأت فى أسرة مترابطة ، أسرة متوسطة .. الكبير فيها يحب الصغير ويعطف عليه .. والصغير يحترم الكبير .. فيها التعاون والحب والتضحية والوفاء والتفانى فكنت أشوف ماما أو جدتى تقف بالمنشفة لوالدى أو جدى وهو يتوضأ .. فكبرت وفى ذهنى صورة المرأة التى تذيب نفسها فى خدمة الرجل .. والرجل الذى يعمل زوجته معاملة بأرق ما يمكن .. فأنا فى أسرتى ـ نمرة أربعة ـ لى أخت أكبر منى وأخوان أصغر منى .. عمرى ما شفت بابا أو ماما بيضربوا أحد أخواتى .. كان هناك تفاهم .. وبالنظرة نفهم المطلوب منا بلا ضرب أو توبيخ .

وأختى الكبيرة كانت طبيبة ـ رحمها الله ـ وأرسلتها الدولة على نفقتها لتدرس الطب فى انجلترا .. وأنا درست فى المدرسة ودخلت القسم العلمى وكنت أحلم بأن أصبح طبيبة مثلها .. وقال لى أبى عندما تحصلين على البكالوريا سوف أرسلك مع أختك الى انجلترا لتدرسى هناك ..

فى شهر العسل

*** وتكمل مفيدة عبدالرحمن حديثها قائلة :**

ـ وفعلا امتحنت البكالوريا وكنت أنتظر النتيجة .. لكن ما حدث أن العريس ظهر قبل النتيجة وفى خلال شهر واحد كنت فى بيت الزوجية .. فكل شيء كان سهلا ، البيوت خالية .. وكانت يافطة « شقة للأيجار » موجودة فى كل مكان وتجهيز الأثاث الفرش سهل .. فكنت فى بيتى بعد شهر واحد .. وظهرت النتيجة وأنا فى شهر العسل .. كان عندى « ملحق » فى الميكانيكا والهندسة ..

فسألنى زوجى .. تحبى تذاكرى وتدخلى امتحان الملحق ..

*** وتتوقف مفيدة عبدالرحمن لتترحم على زوجها قائلة :**

ـ كان رجلا عظيما تفضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ على به .. انسانا فاضلا يحب العلم جدا فقلت له .. قوى .. ورحت المدرسة بلا أصباغ وبمنتهى الجدية بعد ١٥ يوما من زواجى وأثناء شهر العسل .. أديت الامتحان ونجحت وقعدت فى البيت .. أنجبت أول أولادى .. عادل .. وكان معى « دادا » فى البيت .. لم أكن أعرف كيف أطبخ .. وبدأت أتعلم .

كان زوجى صاحب مطبعة ومكتبة ويدعو تجار الكتب من الشرق الأقصى واضطررت لأن أقيم مآدب طعام لأكثر من عشرين شخصا .. فتعلمت وبقيت شاطرة قوى فى المطبخ ..

وكنت ضعيفة جدا فاضطررت لأن احضر مرضعة لأبنى عادل لترضعه وبدأت أشعر بفراغ كبير فى حياتى .. وشعر زوجى بذلك ، وبرغبتى فى أن أكمل تعليمى وأصبح طبيبة .. فقال لى .. تحبى تدخلى الجامعة ؟ فقلت له .. يا ريت .. قال لى .. طبعا دراسة الطب حتبقى مشقة عليك .. وبدأ يفكر ..

ثم اقترح على أن أدرس الحقوق فوافقت .. ولما عرف عميد الكلية أن الطلب المقدم من زوجة وأم .. صمم أن يلتقى بزوجى ويتأكد من موافقته على ذلك .. وفعلا ذهب زوجى معى وحاول بكل الطرق اقناع العميد الذى كان مندهشا من تصميم زوجى على أن أدخل الجامعة وأنا زوجة وأم .. والفتاة الوحيدة بين كل الشبان فى كلية الحقوق ..

أم لخمسة

*** وتضحك ماما مفيدة وتقول :**

- وفعلا دخلت الكلية وأنا أم لـ « عادل » وتخرجت وأنا أم لخمسة أولاد ، ولم أرسب سنة واحدة .. وبعد التخرج بدأت فى ممارسة عملى كمحامية عام ١٩٣٩ ، ومعى خمسة أولاد ، وعلى مدى بضع سنوات أخرى أنجبت أربعة آخرين فأصبحت أما لتسعة أولاد ..

*** وتستطرد قائلة :**

- وبدأت أشق طريقى بصعوبة بالغة .. لأنه فى سنة ١٩٣٩ لا تجدين من يقتنع بأن المرأة ممكن أن تقنع القاضى مثل الرجل ، ولكن بفضل الله العظيم وحبى واجتهادى فى عملى .. ومعاونة زوجى لى التى لا أنكرها ولابد أن اعترف بالفضل لأصحابه .. فأنا أعتبر أن الله - سبحانه وتعالى - هو صاحب الفضل الأول .. ثم أبى ، وزوجى معا ..

لأن زوجى شجعنى وأنا صغيرة عندما تزوجته وعمرى سبعة عشر عاما .. وبدأت أمارس عملى فى المحاماة بالتدريب فى مكاتب كبار المحامين وكنت أحب أن أتولى قضايا كبيرة لأثبت جدارتى .. وفعلا كنت آخذ قضايا كبيرة وصعبة جدا على محامى تحت التمرين .. مثل قضايا

« القتل الخطأ » التى لا أتصور أن أعطيها الآن لأحد المحامين الشبان الذين يتدربون فى مكتبى .. لأنها تحتاج لخبرة كبيرة ..

بـــراءة

*** وتتذكر المحامية البارزة أولى القضايا التي ترافعت فيها ، وكانت تهمة موكلها هى « القتل الخطأ ».. فتقول :**

- ورغم صعوبة القضية إلا أننى دخلت المحكمة وواجهت القاضى بدراسة كاملة مستوفية للقضية ومنظرى يوحى بالجدية الشديدة بلا أصباغ أو تبهرج .. سألت الشهود وناقشتهم .. وبعد مرافعتى .. اذا بالقاضى ينطق بالحكم فى نفس الجلسة .. دون تأجيل .. كما هى العادة فى مثل هذه القضايا وكان الحكم بالبراءة لموكلى ..

ملأت الزغاريد قاعة المحكمة .. وبدأ الناس يعرفوننى ويحضرون الى المكتب الذى أتمرن فيه ، ويطلبون من المحامى الكبير أن أتولى أنا قضاياهم .. فدبت الغيرة فى نفسه .. وتركت المكتب واستمررت فى عملى كمحامية مستقلة .. وباجتهادى وصمودى فى الوقت الذى كانت المرأة فيه تلبس البرقع والملاية .. اشتهر اسمى وبدأت الجرائد تكتب عنى .. الزوجة والأم التى تترافع أمام المحكمة .. وكنت أذهب الى المحكمة حتى آخر يوم قبل الولادة ..

*** ألم يكن يقابل هذا بالسخرية من زملائك الرجال ؟**

- اطلاقا .. كان هناك الاحترام الكامل سواء من زملائى فى الكلية أو زملائى فى المهنة وكذلك أساتذتى الذين كانوا يعاملوننى بأبوة .. فكنت أترافع مع المرحوم وهيب دوس .. وهو علم من أعلام المحاماة ..

وعندما نلتقى فى المحكمة لابد أن يقدمنى أنا قبلـه .. إذا كانـت قضـيتى التالية لقضيته .. لأنه لو ترافع هو الأول يمسحنى خالص .. ولأنه انسان عالم كبير واثق من نفسه فلا ينتقص من قدره أن تترافع قبله محامية شـابة حديثة التخرج ولذلك أذكره الآن .. وأذكر تاريخه .. لأن ترفعه ومساندته للجيل الجديد شيء لابد من الاعتراف به .. واحترامه .

فسعدت بأساتذتى وزملائى .. ولذلك فأنا علمـت ابنـى اسـماعيل ـ الذى يعمل معى وأصبح محـاميا كبيـرا الآن ـ أن السـعادة فى أن تسـاعد الآخرين وتحب الزملاء ولا تتصارع معهم .. لأن الـرزق مـن عنـد اللـه وحده .. فقط نتنافس من أجل أداء واجبنا على أكمل وجه ..

تشجيع مستمر

*** دائما تذكرين فضل زوجك فى نجاحك .. ألم تواجهى غيرة الرجل الشرقى من نجاح زوجته ؟**

ـ فى الحقيقة لم أشعر مطلقا فى يوم من أيـام حيـاتى الـزوجية الـطويلة والتى امتدت حوالى ٤٨ سنة ونصف السنة الا بالتشجيع المستمر .. حتـى بعد ما كبرت وشبت .. كان سعيدا جدا .. وأنـا نـازلة أقـابل العـظماء الذين يزورون مصر باعتبارى عضوا بمجلس الأمة .. وكان فخورا بى .. كان يجلس معى يقرأ القضايا حتى يشجعنى على الدراسة والبحث .. كان عندما يمرض ابن من أبنائى .. يقول لى يا مفيدة .. قومى نامى علشـان مذاكرتك أو قومى ذاكرى وسيبى الولد أنا أقعد معاه ..

وتسكت لحظة وكأن شريطا يدور فى عقلها .. وبصوت يلـونه الحـزن والامتنان معا تقول : والسبب فى هذا التعاون الـكبير منـه .. أننـى أيضـا كنت أبادله نفس العناية ونفس الشعور ..

الاقتنــــاع أولا

*** لو تكلمنا عن أشهر القضايا التى تـرافعت فيهـا .. ومـا زلـت تحتفظين بها فى ذاكرتك حتى الآن فماذا تقولين ؟**

- أحب أقول .. إن المحاماة هى الاخلاص فى العمـل .. والنجـاح فيها يحتاج للصدق وتحرى العدالة والسمو .. فالحق والعدل مـن المـولى عز وجل هما رسالة المحاماة فى الأرض ..

*** وتستطرد قائلة :**

- فأنا لا أستطيع الترافع فى أى قضـية دون الاقتنـاع الـكامل بمـوقف موكلى ، فأحيانا تقوم المحكمة بتكليف المحامى بالترافع عن موكل فقير ، وليس لديه القدرة المادية لتوكيل محام .. وهذا يعتبر تكليفا من المحكمة ولابد أن يؤديه المحامى وإلا دفع غـرامة ، وأصـبحت سـابقة سـيئة فى تاريخه ..

وفى احدى المرات كلفت بالترافع فى قضية سيدة قتلت زوجها بـالتعاون مع عشيقها وقرأت أوراق القضية فوجدتنى ضد هـذه السيدة التـى سـوف أترافع عنها .. أعصابى ثارت .. ولم اسـتطع التـرافع لأنـى ضـدها .. ولازم أترافع وأنا مقتنعة علشان أقدر أنقل هذا الاقتناع للقـاضى .. وكنـت فى حيرة .. هل أتعرض للغرامة لامتناعى عن المرافعة وألوث اسـمى .. أم أقبل قضية أنا غير مقتنعة بها ؟..

*** وتكمل القصة قائلة :**

- وقررت أن أذهب الى المحكمة قبل موعد نظر القضية بـأيام وقـدمت اعتذارى للقاضى .. وقلت له أنا مش قادرة أترافع عـن هـذه السـيدة ..

وطلبت اعفائى من هذا الانتداب .. وقدرت المحكمة ظروفى وأعفتنى من المرافعة ما دمت غير مقتنعة .. واحترمت موقفى أيضا ..

مع الحق

*** هل معنى هذا انك لا تترافعين فى قضية إلا اذا كنت مقتنعة ببراءة موكلك ؟..**

ـ لا .. بالطبع هناك قضايا كثيرة أترافع فيها وأنا على يقين من ارتكاب موكلى للجريمة .. ولكن الظروف المحيطة به هى التى دفعته الى ارتكابها .. وهنا تكون أعذار المتهم ـ اذا اقتنعت بها ـ هى المبرر الأساسى لقبولى القضية .. فلازم أعرف خلفياته وتاريخ حياته ، وأسلوب معيشته .. ولذلك أطلب من موكلى معلومات عامة جدا عن القضية فى أول لقاء .. ثم أجلس معه بالساعات بعد ذلك لأعايش بعمق كل ظروفه ودوافعه لارتكاب الجريمة .. وحتى تتجمع لدى الخيوط التى أبنى عليها دفاعى عنه ..

*** وتستطرد قائلة :**

ـ من ناحية القضايا المدنية .. لا يمكن أقبل قضية أترافع فيها ضد الحق .. مثل أن يكون هناك واحد احتال على آخر .. فلا يمكن أن أترافع لأكسب قضية لصالح النصاب ضد صاحب الحق ..

إنما فى القضايا الجنائية .. ففى بعض الأحيان أجد اعذارا .. أقتنع بها فعلا .. وأقدمها للمحكمة وألتمس الرحمة فيها وأتمسك بالقضية ..

منظر غريب

*** كنت أول محامية عربية تترافع أمام محكمة عسكرية .. فما قصة هذه المرافعة ؟**

ـ فى الواقع .. إن هذه القصة كانت عندما جاءتنى زوجة فقيرة لجندى فى الحبس وله قضية .. ودى كانت أول مرة أدخل فيها قسم القاهرة « قسم عسكرى » قرأت القضية هناك واطلعت عليها .. وكان منظرى غريبا جدا لأن هذا وقع سنة ٤٠ ، ولكن بفضل الله وجدت التشجيع والترحيب الكامل .. وذلك لأنه ـ كما قلت ـ لمس الناس فى شخصى الجدية ..

وفعلا قرأت .. ودرست القضية ونجحت فيها ، لأن ظروفها كانت تدعو للنجاح .. فوجدت مكتبى كله زوجات عساكر فقيرات يردن أن أترافع عن قضايا عسكرية لصالح أزواجهن .. وكن يعرفن أننى لا أتقاضى أتعابا اذا وجدت أن حالة موكلى لا تسمح .. وأعيد اليه الجنيهات القليلة التى أتى بها الى وأمضيت سنتين فى الترافع فى هذه القضايا .. عطلت خلالهما مكتبى ـ لأن مكتبى كان بعد الظهر ـ وموعد نظر هذه القضايا كان غالبا بعد الظهر أيضا .. صحيح أننى كنت سعيدة لأنى أساعد المعدمين والمحتاجين .. لأنى طول عمرى ما فكرت فى الأتعاب .. ودى حاجة عايزة يسمعها كل المحامين .. فبعد حوالى ٤٧ سنة من العمل بالمحاماة لم أجن أى عقار .. ولا حتى طوبة واحدة .. لكن أنا عندى تسعة أولاد باعتبرهم السعادة الكاملة فى حياتى .. فهم أولاد فى غاية الأدب .. ومنتهى الصدق مع أنفسهم ومع الناس .. وأعتبرهم أكبر ثروة عندى ، وأدعوا الله أن يحفظهم لى ..

*** وتستطرد الأستاذة مفيدة قائلة :**

ـ يعنى لو الانسان وضع المادة هدفا لحياته يفشل فى كل شىء ..

*** وتعود الى حكاية مرافعتها أمام القضاء العسكرى فتقول :**

ـ استمرت مرافعتى أمام المحاكم العسكرية سنتين .. وبعدين لقيت أنى لو استمريت فى هذه القضايا .. فسوف أقفل مكتبى .. لأنها استوعبت وقتى كله ، ولم أعد أذهب الى مكتبى .. فاعتذرت فى النهاية للموكلين وقلت لهم .. منعونى من المرافعة أمام القضاء العسكرى ..

أتعابى قليلة

*** ومنْ مِنْ أولادك أتخذ نفس الخط واختار المحاماة مهنة له مثلك ؟**

ـ اسماعيل ، وعادل ، وسامى .. لكن اسماعيل هو الذى يعمل معى الآن فى المكتب ، أما عادل ، وسامى فقد تفرغا لادارة مطبعة أبيهما ..

*** وما أكبر أجر تقاضيته فى قضية ؟..**

ـ أكبر أجر لن تصدقى .. اتعابى قليلة جدا .. لأن لازم تبقى فيه رأفة واللى جاى لنا ده بلوته كبيرة .. فلازم نرحمه .. وربنا دايما يبارك فى القليل .. والنصيحة دى دايما أقولها لأبنى اسماعيل .. لأن رضا الناس وحبهم نعمة من نعم ربنا ..

*** لو انتقلنا الى نوع آخر من القضايا .. وأعنى قضايا المرأة .. فما هى فى رأيك أهم قضايا المرأة المطروحة الآن ؟**

ـ أشعر بمنتهى الألم .. وأنا استمع الى المشاكل العائلية .. ودائما عندما يأتينى رجل أو امرأة بقضية تتعلق بالأحوال الشخصية لا ألجأ الى المحكمة .. ولكن استدعى الطرف الآخر واستمع الى وجهة نظره وغالبا انتهى وديا الى حل المشكلة عن طريق الاقناع والتسوية دون اللجوء الى المحاكم .. فقضايا الأحوال الشخصية تؤلمنى جدا لأن المحكمة ليست دائما الطريق السليم لحل هذه المشاكل .

*** هل حصلت المرأة الآن على بعض الحقوق التى كانت تطالب بها أم ما زالت هناك بعض الحقوق المغبونة ؟.**

ـ المرأة أخذت حقوقها بل وحقوق الرجل .. فقد حصلت على حق الانتخاب وحق الترشيح ، وحق التعليم ، موالعمل .. وتتقاضى نفس الراتب عن نفس الوظيفة التى يشغلها زميلها الرجل ..

ولكن المرأة الآن مظلومة بالنسْبة للظروف العصبية التى تتحرك فيها ، فهى مطالبة بالعمل خارج البيت .. ثم المرور على أطفالها فى المدرسة أو الحضانة لتأخذهم الى المنزل .. والعودة الى البيت لتنظف ، وتطبخ ، وتجهز طلبات أولادها وزوجها ..

*** وهل هذا انصاف ؟**

ـ لا ، طبعا .. ولذلك أنا دايما بأقول : إن على كل امرأة أن تعيش ظروفها ، وتقرر على اساسها هل تعمل أو تبقى بالمنزل .. فأنا مثلا بالنسبة لى استطعت أن أدرس وأنجب وأعمل محامية وألف محاكم الجمهورية كلها من أسوان الى الأسكندرية .. لأنه قد توافرت لى فى سنة ٣٩ وما بعدها « دادا » لأولادى فى البيت .. وأخت زوجى ـ الله يرحمها ـ كانت ترعى أولادى أكثر منى .. فكنت مطمئنة عليهم .. وكنت أسافر الى مؤتمرات عالمية .. فحضرت مؤتمرا برلمانيا دوليا فى اليابان سنة ١٩٦٠ ، وقضيت شهرين فى الصين .. .. كنت أسافر وأنا مطمئنة على بيتى ، وعلى زوجى وأولادى لأن هناك من يرعاهم .. و« الدادا » ما زالت حتى الآن « أم سليمان » منذ ٥٢ سنة وأولادى يحبونها جدا ، وكأنها أمهم الثانية .

*** وتستطرد قائلة :**

ـ وهذا غير متوافر للمرأة العاملة الآن . . فغالبا ليست هناك شغالات . . وأم الزوجة أو الزوج تسكن بعيدا عن أولادها والحضانات لسن متوافرات بالشكل المناسب . . كل هذا يجعل المرأة الآن فى وضع لا تحسد عليه . . ونصيحتى لمن فى مثل هذه الظروف الصعبة أن تترك العمل ، وتتفرغ للبيت حتى يكبر الأولاد قليلا ثم تعود إلى عملها . .

فالمرأة الآن حصلت على حقوقها وزيادة . . ولكن ظروفها الحالية لا تحسد عليها . .

وما تفعله بعض الدول فى هذه الصدد مثل يوغوسلافيا أتمنى أن نعمل به فى مصر . . فهم هناك يعطون المرأة اجازة بمرتب كامل لتربية أولادها حتى يتعدوا سن الحضانة ـ لأن مهمتها مهمة قومية لتربية جيل المستقبل . .

*** فى نهاية حوارى مع أشهر محامية فى مصر . . ماما مفيدة . . سألتها . . أما زلت تترافعين أمام المحاكم بعد كل هذا العمر ؟.**

ـ نعم . . أنا لا استطيع أن أعيش يوما بلا عمل . . وفى كل يوم أتوجه لأكثر من محكمة فى أماكن مختلفة لأترافع عن قضايا المكتب ويساعدنى ابنى اسماعيل الذى أصبح الآن محاميا رائعا . . تستمتعين بسماع مرافعته ، ورقى لغته ، وأناقة عباراته . . وأحب أن أقول : أن رحلتى مع المهنة التى وهبتها عمرى . . مهنة المحاماة . . لن تنتهى حتى آخر يوم فى عمرى . .

ـ وأترك الاستاذة مفيدة . . أو « ماما مفيدة » . . وأنا مبهورة بهذه السيدة التى تصر على أن تكون حياتها ينبوع عطاء دائم حتى بعد هذه الرحلة الشاقة . . والسنوات الطويلة من الكفاح والتصميم والنجاح . .

* * *



د . عائشة راتب :

بكيت لأول مرة

عندما زرت اصلاحيات الأحداث



فى كل مرحلة من مراحل حياتها .. كان لها موقف شجاع .. وجرىء وكأنها فى كل موقف من هذه المواقف كانت تريد أن ترسى مبدأ .. أو تعطى نموذجا حيا لما يجب أن تكون عليه الأمور ..

إنها السيدة التى استطاعت أن تحفر بصمات عميقة واضحة فى كل مجال ارتادته .. سواء فى الجامعة .. عندما كانت استاذة فى كلية الحقوق .. أو فى الوزارة .. عندما عينت ثانية وزيرة فى مصر .. أو فى تمثيل بلادها فى الخارج .. عندما تولت منصب أول سفيرة مصرية وعربية ..

كنت حريصة على لقائها .. والتسلل إلى أعماق هذه السيدة التى تتميز بوجه ملائكى .. وصوت خفيض .. هادىء .. وتتمتع فى نفس الوقت بشخصية قوية .. ومواقف واضحة محددة .. وجريئة أيضا ..

وفعلا .. تم اللقاء .. كان فى بيتها الأنيق .. الذى يكشف جانبا اساسيا من شخصيتها .. فقد كانت كل أركانه تتحدث عن ذوق رفيع .. وجمال هادىء تعكسه قطع الأثاث البسيط والتحف المنتقاة بعناية ورقة بالغة ..

إنها د . عائشة راتب .. صاحبة الصورة المضيئة للمرأة .. عندما تصر على اثبات جدارتها وذاتها من خلال مواقف شهيرة خاضتها وهى لم تزل شابة صغيرة تطرق أبواب الحياة العملية ..

كنت أقلب فى صفحات من أرشيفها الخاص .. قبل ذهابى اليها .. فتوقفت عند احدى هذه القصص الشهيرة التى هزت الرأى العام فى أواخر الأربعينيات .

كان ذلك عندما قررت الفتاة الصغيرة أن ترفع قضية ضد مجلس الدولة أمام مجلس الدولة .. تلك القضية التى أثارت ضجة كبيرة فى ذلك الوقت - عام ١٩٤٩ عندما تقدمت الآنسة عائشة راتب بطلب تعيين فى مجلس الدولة .. بناء على اعلان طلب وظائف مندوبين فى مجلس الدولة ..

وطلب المجلس عشرة لشغل هذه الوظائف من حملة ليسانس الحقوق .. فتقدم اليه ٤٠٠ اختار من بينهم ٣٠ ، وكان من بين الثلاثين الطلب الذى تقدمت به الآنسة عائشة راتب .. باعتبار أن جميع الشروط المطلوبة متوافرة لديها ..

ومرة أخرى يقرر مجلس الدولة أن يكون الاختيار حسب ترتيب الخريجين .. فيفاجأ بأنه - حتى طبقا لذلك - فسوف يأتى طلب عائشة راتب من بين هذه الطلبات لأنها من أوائل الكلية ..

وتدعى الشابة الصغيرة إلى السفر الى الاسكندرية لمقابلة عبدالرازق السنهورى باشا .. رئيس مجلس الدولة .. لتؤدى هناك امتحانا مع باقى زملائها المتقدمين لشغل الوظيفة .. وتعود إلى القاهرة يسيطر عليها التفاؤل .. وأملها كبير فى أن يأتى اليوم الذى تتساوى فيه الفتاة المصرية

بالشاب المصرى ما دامت تملك نفس القدرات والامكانيات ..

وبينما هى سابحة فى أحلامها للمستقبل يرسل اليها وكيل مجلس الدولة سليمان حافظ بك يستدعيها لمقابلته .. وهناك تفاجأ بأن تعيينها فى مجلس الدولة مستحيل .. لقد وضعوا أمامها الخيار بين وظيفتين أحداهما فى الشهر العقارى والثانية فى الشئون الاجتماعية ..

وتسأل الفتاة المتحمسة لماذا ؟ وما الفرق بينى وبين زملائى ؟! فتتلقى الرد : بأن حسين سرى باشا رئيس الوزراء ـ فى ذلك الوقت ـ رفض تعيينك لأن هذا لا يتفق مع السياسة العامة للدولة ..

وترفض عائشة راتب قبول أى من الوظيفتين .. وتقرر الاشتغال بالمحاماة .. وتقرر فى نفس الوقت رفع دعوى ضد مجلس الدولة أمام مجلس الدولة .. وأثناء نظر الدعوى يتم تعيينها كمعيدة فى كلية الحقوق .. ومع ذلك تقرر الاستمرار فى دعواها لانها لا تطمح الى تحقيق هدف شخصى لها .. بل تريد أن ترسى مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة فى تقلد الوظائف ما دام كلاهما على درجة واحدة من التفوق والعلم ..

وقامت الدنيا ولم تقعد فى ذلك الوقت .. فقد كانت القضية الأولى من نوعها فى مصر ، وكانت لا تزال هى فى بداية العشرينات من عمرها ، وقفت الى جانبها الجمعيات النسائية واساتذة كلية الحقوق .. ورغم أن القضية لم تنجح فى المحكمة إلا أنها نجحت نجاحا عظيما فى خلق رأى عام متعاطف مع القضية ومؤمن بها .

وتمر السنوات وتحصل عائشة راتب على درجة الدكتوراه فى القانون الدولى من كلية الحقوق ـ جامعة القاهرة ١٩٥٥ لتكون أول فتاة تنال هذه الدرجة العلمية ..

وتستمر فى سلك التدريس الجامعى إلى أن يصدر الرئيس أنور السادات قراره بتعيينها وزيرة للشئون الاجتماعية عام ١٩٧١ .. لتصبح ثانية سيدة فى مصر تتولى منصب الوزارة بعد د . حكمت أبوزيد ..

وفى عام ١٩٧٧ تعود الدكتورة عائشة راتب إلى عملها كأستاذة للقانون بعد انسحابها من الوزارة ..

وفى عام ١٩٧٩ تعين أول سفيرة مصرية فى بون عاصمة ألمانيا الغربية . لتقضى هناك أربع سنوات حتى ١٩٨٢ ..

ثم تعود الى القاهرة ليصدر قرار آخر بتعيينها كسفيرة لمصر فى كوبنهاجن بالدانمارك ..

بهذه الخلفية الكبيرة عنها .. ذهبت الى موعدى معها .. وبداخلى رغبة شديد فى التعرف على ابعاد هذه الشخصية غير العادية بكل المقاييس .. وتمنيت أن أنفذ الى الزوايا الانسانية داخل أعماق هذه السيدة .. وكانت هذه هى رحلتى معها :

*** سألتها :**

-الآن .. بعد رحلة طويلة تميزت خلالها بالريادة فى أكثر من مجال .. وأكثر من موقع .. ما هو شعورك الآن ؟.

*** بهدوئها الوقور قالت :**

- أنا أعتقد أن كل سيدة فى أى موقع تحاول أن تثبت أنها ليست أقل من الرجل .. وانها تملك نفس الكفاءة والقدرة على العطاء .. خاصة اننا ما زلنا حتى الآن فى مجتمع رجل .. وهذا كان شعورى أيضا .. ولذلك كان اصرارى كبيرا على اثبات ذاتى طوال رحلة حياتى .. سواء اثناء تحضيرى للدكتوراه ، أو عملى كأستاذة فى الجامعة ثم كوزيرة .. فأنا

اعتقد أننى فى كل هذه المجالات حاولت أن اثبت كفاءتى وأثبت أن المرأة ليست أقل من الرجل ..

*** إذا توقفنا قليلا عند محطة الوزارة .. فماذا نجد فى صندوق الذكريات ؟**

*** وتشرد الوزيرة السابقة قليلا وكأنها تستعيد شريطا لتوقفه عند نقطة معينة .. ثم تقول :**

ـ كانت فترة الوزارة بالنسبة لى من أهم فترات حياتى .. فقد عشت حياتى قبلها بعيدا عن واقع المجتمع .. كنت فقط أدور فى دائرة واحدة هى دائرة العلم والجامعة والدراسة .. وعندما توليت الوزارة أخذونى فى جولات كثيرة تعرفت خلالها على قاع المجتمع .. فزرت مؤسسات الأحداث ورأيت الأطفال الذين انجرفوا الى الجريمة والضياع وهم فى عمر البراءة والنقاء .. ورأيت ايضا فى هذه المؤسسة المنحرفات والساقطات .. ولا اخفى عليك أننى ظللت أسابيع طويلة فى حالة اكتئاب مما رأيت .. وكنت أبكى عندما أعود الى منزلى من شدة التأثر .. ولذلك بدأت أفكر فى حماية مثل هؤلاء الأطفال من الضياع والتشرد والانقياد الى عالم الجريمة .. بدأت أفكر فى حماية هؤلاء الضحايا .. لأننى لم أكن اعتبرهم مجرمين .. فأغلبهم لم يجد الجو الأسرى الذى يحتضنه ويحمى طفولته ، ولذلك ضاعوا وتشردوا .. وللأسف .. فهذه الأوضاع ليست مقصورة على مصر .. بل انها موجودة فى كل البلاد العربية ..

*** وتستطرد الدكتورة عائشة .. قائلة :**

ـ وفكرت فى ذلك الوقت فى دراسة قانون الأحوال الشخصية ومحاولة

علاج الثغرات الموجودة فيه والتى من شأنها لو عولجت أن تحمى الأطفال من مصير لا يعلمه الا الله .. ودعوت اللجنة التى شكلتها فى الوزارة من اساتذة كلية الحقوق وكبار رجال الدين لدراسة كيفية اصدار قانون جديد يعالج هذه الأمور .. وفعلا عكفت ومعى زملائى فى الوزارة على اعداد قانون يحمى النشء .. ويحفاظ على جيل المستقبل ..

*** وماذا كان مصير القانون الذى وضعته ؟**

ـ قبل أن أترك الوزارة .. سحب القانون من مجلس الوزراء .. ولم يصدر ..

*** وماذا كانت أبرز معالم هذا القانون الذى لم ير النور ؟**

ـ فى الحقيقة أنا فى أى حاجة كنت باعملها كنت لا أبحث عن مصلحة المرأة أو مصلحة الرجل .. انما كنت انظر الى الطفل .. وحتى لا نعطى فرصة لانهيار العائلة .. فكانت فكرتى أن يتم الطلاق فى المحكمة أمام القاضى .. بعد محاولات التوفيق والاصلاح بين الزوجين كنوع من انواع التبريد والمراجعة .. قبل التسرع فى اصدار القرار الخطير .. وكان هدفى أن نعطى الرجل والمرأة الفرصة للتفكير وتهدئة الثورة الأولى التى قد ينتج عنها قرار خاطىء غير متريث ..

*** ورأيك فى التطورات التى مر بها القانون الحالى من تعديل والغاء ثم تعديل آخر ؟**

ـ لا تعليق .. واعتقد أن السؤال يجب توجيهه إلى السيدة الدكتورة وزير الشئون الحالية .. فهى التى تستطيع أن تعطى صورة واضحة عن القانون ..

*** اذن ننتقل إلى محطة أخرى من محطات نجاحاتك المتعددة ..**

وهى فترة السفارة .. والريادة هنا أعتقد انها عربية وليست مصرية فقط .. فأنت أول سفيرة عربية لبلادها فى الخارج ؟..

ـ بالنسبة لى أنا درست القانون الدولى .. فمن الناحية النظرية لم يكن العمل الدبلوماسى بعيدا عنى .. وأيضا من الناحية العملية .. أنا خرجت للحياة العملية ، كان عمرى واحدا وعشرين سنة عندما عينت معيدة عام ١٩٥٠ فتعودت أن أجابه المسئولية والعمل العام .. وطالما استطعت مواجهة الطلبة فى المدرج ..

وخلال فترة تعيينى كسفيرة سواء فى كوبنهاجن فى الدانمارك أو فى بون بالمانيا .. كانت علاقاتى مع المسئولين ووزارات الخارجية ورجال الأحزاب وسفراء الدول الأجنبية المعتمدة .. مع المواطنين مع المصريين والعرب هناك علاقات أكثر من ممتازة وأحمد ربى أننى تركت كلا من الدانمارك وألمانيا وعلاقة مصر بهما ممتازة ..

*** وأى الأعمال الثلاثة وجدت فيه نفسك أكثر .. استاذة الجامعة أم الوزيرة أم السفيرة ؟**

ـ أنا أجد نفسى فى أى موقع أشعر أننى استطيع أن أقدم فيه شيئا .. ففى الجامعة كانت علاقاتى بالطلبة هى علاقة أم بأولادها ، وبالنسبة لعملى فى الوزارة شعرت أن هناك أعمالا قيمة جدا وأنا سعيدة بها سواء فى الشئون الاجتماعية أو التأمينات ، استطعت أن أحققها وكان لها أثر كبير فى تعميق احساسى بالناس البسطاء وجعلتنى فيما بعد أحاول تقديم المساعدة لهؤلاء الناس الكادحين كلما استطعت ذلك ..

أما فى السفارة فالنطاق الذى تتحركين فيه مختلف تماما ، لأنك تتعاملين مع نوعية خاصة ومحيط مختلف .. والعمل الدبلوماسى اساسه

تنمية العلاقات .. سواء كانت سياسية أو اجتماعية وثقافية وأيضا العلاقات الانسانية ..

فمثلا لم يكن يمر يومان أو ثلاثة إلا والتقى بالناس سواء فى السفارة أو خارجها .. وهذا بالطبع شيء اساسى فى تنمية العلاقات بين شعوب البلدين وهو جوهر العمل الدبلوماسى ..

*** د . عائشة .. لدى سؤال حساس الى حد ما .. أرجو الا يكون عندك مانع للرد عليه ؟**

- بكل ترحيب ..

*** معروف انه بعد احداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ كان لك موقف شجاع فى مجلس الوزراء وبعده تمت اقالتك .. وكان هذا الموقف بسبب استنكارك لسياسة الحكومة .. وطالبت فى هذه الجلسة باستقالة الوزارة .. فهل هذا صحيح ؟**

- لم يُقِلْنى أحد .. أنا التى طلبت اعفائى من منصب الوزارة لأننى اختلفت فى أمور معينة على السياسة العامة .. وكان لابد أن انسحب .. وطلبت أن أخرج من الوزارة .. فأنا لم أقل أنا استقلت ..

*** وما هى هذه الأمور ؟**

- آراء مختلفة ولم نلتق .. هذا ما أستطيع قوله ..

*** رفعت دائما شعارا هو « الحق أمامه واجب » فإلى أى مدى تؤمن المرأة المصرية أو العربية بهذا المبدأ ؟**

- أحب أن أقول أن المرأة المصرية تختلف عن المرأة العربية من ناحية الامكانيات .. وأتصور أن المرأة المصرية إلى حد كبير تقوم بواجباتها .. فهى تحاول رغم كل المصاعب التى تواجهها أن تعطى ،

وليس معنى ذلك أن المرأة العربية لا تقوم بـواجباتها .. ولـكن أقـول أن المرأة العربية لا تواجه نفس القدر مـن المشـاكل .. فـالامكانيات عـامة أكبر .. والواجبات التى تطالب بها المرأة المصرية أكبر سواء داخل منزلها أو خارجه فى عملها ..

*** وتستطرد د . عائشة قائلة :**

ـ عندما يشعر الزوج والزوجة متى تبدأ الحقوق ، ومتى تنتهى ، ومتـى تبدأ الواجبات ، وأين تنتهى لن يكون هناك أى مشكلة ..

*** مساواة المرأة بالرجل .. إلى متى يـظل الحلـم المسـتحيل فى مصر والمنطقة العربية بشكل عام ؟**

ـ فى مصر اعتقد أنه لم يصبح حلما بـل هـو حقيقـة .. فـالتعليم فى مصر حق للمرأة كما هو حق للـرجل حتـى درجـة الـدكتوراه .. وفى التعيين .. المرأة تتقاضى نفس الراتب عن نفس الوظيفة مثل الـرجل .. ربما الفرق الوحيد الذى كان موجودا ـ وأعتقد انه انتهـى ـ هـو الـوضع فى العائلة .. المهم أن السيدة تتقـدم لشـغل مـوقعها ليسْ على أنـه شيء « كمالى » بل على اساس أنها وظيفة تؤديها لعمل معين وتشعر انهـا عنصر من عناصر الانتاج لتعمل شيئا يفيد البلـد .. وده مش بس فى مصر ولـكن فى كل البلاد العربية ..

*** وماذا تقولين عن الدعوة التى بدأ يتردد صداها الآن بعودة المـرأة مرة أخرى إلى البيت ؟**

*** وترتفع نبرة الدكتورة عائشة وتضغط على كلماتها مؤكدة :**

ـ شوفى مجتمع نص أفراده عـاطل ، شيء لا يعقـل وخصـوصا بعـد دخول الأدوات المنزلية الحديثة .. ونـاس كتيـر عنـدها التـلاجة ،

والغسالة .. وكل الأدوات التى تسهل أعمال البيت ..

ثم ما الذى ستفعله المرأة طوال النهار فى البيت .. هل ستقضى وقتها فى الحديث مع الصديقات فى التليفون أو الجيران ..

العمل يعطى للسيدة احساسا انها انسانة .. ومن غير المتصور فى بلد زى بلدنا فى حاجات كتيرة نقصانا ومحتاجين لزيادة الانتاج ثم ننادى بتعطيل نصف المجتمع ..

*** أحب أن أسأل أستاذة القانون عن مفهوم الحرية من وجهة نظرها ؟**

ـ مفيش حاجة اسمها حرية مطلقة .. فحريتك تنتهى عند حرية الآخرين .. الحرية تمارس فى نطاق قيود الجماعة التى يعيش الانسان بينها .. مفيش حرية غير مسئولة .. نفس الحياة فى مجتمع منظم توجب تنظيم حريات الأفراد .. وهذا ليس معناه أنه لا يوجد شىء اسمه حرية .. ولكن الحرية المسئولة المنظمة التى لا يترتب عليها الاعتداء على حريات الآخرين ..

أما بالنسبة للسيدات .. فمفهوم الحرية فى المجتمعات الشرقية يختلف عن مفهومه فى المجتمعات الغربية ..

فنحن مجتمع شرقى .. أجمل شىء فيه الحفاظ على التقاليد ، والصور التى نقرأ عنها فى الجرائد اعتبرها صورا شاذة .. وأيضا الصورة التى تظهر بها المرأة المصرية فى السينما أحيانا على انها تستخدم الحرية بطريقة غير مسئولة هى صورة بعيدة كل البعد عن شخصية المرأة المصرية الحقيقية ولا تعبر إلا عن حالات شاذة ونادرة .. فالمرأة المصرية تمارس كل حقوقها بشكل عاقل ومتزن وتحافظ على اسرتها وبيتها وأطفالها .. وحريصة على كل القيم والتقاليد ..

*** « تحرير المرأة » التعبير الشائع الذى نطلقه من سنوات طويلة وما زلنا .. ألا ترين أن كلمة « تحرير » ترتبط بالعبودية أو بالاستعمار .. فما رأيك ؟**

- لأننا فى مجتمع بطبيعته مجتمع رجل .. ليس فى الشرق فقط ولكن فى الغرب أيضا .. ورغم انه من عندنا - من الشرق - وجاءت أول ملكة فى التاريخ هى « حتشبسوت » التى حكمت كملكة وليست كزوجة ملك ، حتى حتشبسوت اضطرت أن ترتدى ملابس الرجال حتى يقتنع الناس بها ..

فهناك ظروف معينة جعلت الرجل له دور المبادأة أو سلطة القرار ..

ولكن عندما بدأت الثورة الصناعية .. وطالب الناس بالمساواة .. ارتفعت الدعوى بمساواة المرأة بالرجل ، ولذلك أقول أن التحرير ليس له دخل بالعبودية فلم تكن المرأة أبدا عبدة لا فى الشرق ولا فى الغرب ..

وأحب أن أضيف أنه مع تطور المجتمع وتغير الظروف أصبح كل افراد الأسرة مطالبين بالعمل حتى تستمر الحياة .. فصورة الأخ الذى ينفق على أخته .. أو الأب الذى يصرف على الأسرة كلها .. اختفت بتطور الظروف .. الثورة الصناعية والتطور الاجتماعى والثقافى التى صاحبت الحرب العالمية الأولى والثانية كلها جعلت من عمل المرأة وحصولها على المساواة مع الرجل أمرا لا غنى عنه ..

*** سؤال هام أحب أن أوجهه إلى ثانية وزيرة للشئون الاجتماعية والتأمينات فى مصر .. لماذا ارتبط منصب المرأة الوزيرة فى مصر بوزارة الشئون الاجتماعية فقط ؟**

- ربما لأن وزارة الشئون الاجتماعية تتعامل بشكل أساسى مع ناس

محتاجين ، والمفترض أن قلب المرأة رحيم أكثر من الرجل .. وهذا ليس تحيزا منى .. لكن عندما كنت فى الوزارة لم أكن فقط وزيرة شئون اجتماعية بل أضيفت لى وزارة التأمينات فكنت أول وزيرة لوزارتين ..

وأذكر اننى كنت أسهر حتى الثانية صباحا لاعداد التشريعات ومشروعات القوانين مع الزملاء فى الوزارة لنحفظ حقوق الناس .. حقوق الزوجة .. حقوق الأم .. حقوق الطفل ..

*** وهل معنى ذلك أن المرأة المصرية أو العربية لا تصلح لتولى وزارة أخرى كالتعليم أو الزراعة أو غيرها ؟**

ـ قطعا لا .. ففى الأردن كانت سيدة وزيرة للاعلام ، وفى تونس وزيرة وفى سوريا وفى العراق ، فالمجتمع والتطور يفرضان ذلك ..

*** وزيرة واحدة فى الوزارة هل هذا يكفى ؟**

*** وتضحك الوزيرة السابقة قائلة :**

ـ عموما خير وبركة ..

*** هل تعتقدين أن هناك فعلا قضية للمرأة فى مصر الآن ؟ وما هى حيثياتها فى رأيك ؟**

ـ ليس بالمفهوم الشائع .. أعتقد أن قضيتها الأساسية هى كيفية مساعدة زوجها .. أبوها .. أخوها .. ابنها .. فى تغيير الواقع الذى نعيشه .. كيف تدفع كل الرجال من حولها إلى بذل الجهد لتغيير هذا الواقع ..

*** وأقاطع الدكتورة عائشة :**

ـ ولكن .. المرأة للأسف أصبحت سلبية خاصة فى الحياة العامة ؟.

ـ لا أستطيع أن أقول أن السيده المصرية سلبية .. ولكن أقول أن الظروف تغيرت .. البنات فى الجامعة زمان كن معدودات والآن المرأة تحتل ٤٠ أو ٤٥٪ من أعداد الطلبة فى الجامعة ..

*** وما رأيك فى رغبة الكثيرات منهن فى التخرج ثم البقاء فى البيت ؟.**

ـ أنا لا أعيب عليها هذا فاذا كانت ترغب فى اعداد جيل صالح قوى يستطيع تغيير الواقع .. فأنا أشجعها على ذلك .. ولكنى فقط أعيب عليها إنها احتلت مكانا فى الجامعة كان من الممكن أن يستفيد به زميل آخر أو زميلة أخرى .. فالثقافة يستطيع الانسان أن يحصل عليها من الاطلاع أو القراءة وليس بالضرورة فى الجامعة ..

*** لدى سؤال شخصى جدا .. أريد أن أطرحه ..**

ـ تفضلى ..

*** ما هو الثمن الذى دفعته د . عائشة راتب لنجاحها الكبير فى الميادين المختلفة التى ارتادتها ؟..**

ـ الثمن هو أننى عندما أشعر أننى فى حالة توقف عن العمل أكون فى منتهى الألم لأننى تعودت من سن ٢١ سنة أن أكون فى حالة عمل متواصل .. وفى بعض الأحيان كنت أعمل فى الثامنة صباحا الى الواحدة صباحا .. فتعودت دائما أن أكون فى حركة مستمرة .. بحيث اننى لو بقيت فترة بلا عمل أشعر بأننى بلا حياة ..

فالثمن هو احساسى باننى لست على قيد الحياة اذا لم أكن فى حالة عمل متواصل ده كان على حساب راحتى الشخصية لكن ده احساسى ..

*** كيف تتعامل المرأة المتميزة .. سواء كانت مبدعة أو مفكرة أو فنانة فى مجتمع تحكمه العقلية الجامدة ؟..**

ـ أنا شخصيا أعتقد أن العمل قبل كل شيء هو علاقات انسانية تعطى الانسان الذى أمامك مهما كان موقعه فى السلم الاجتماعى احساسك باحترامه كانسان . .

وأنا سواء فى الجامعة أو الوزارة أو السفارة كنت أحترم كل انسان اتعامل معه . . وما دام انه يؤدى عمله بكفاءة وجد فهو عندى له كافة الخقوق وحكمى الوحيد على اى انسان كان دائما من خلال آدائه للعمل سواء كان صغيرا أو كبيرا . . وطالما نجحت فى ذلك فسوف يعطيك هذا الانسان كل ما عنده وأكثر . . فالثواب والعقاب فى أى مجتمع هو اى القيم الأساسية وبدون تطبيق هذا المبدأ ينهار المجتمع . .

*** من المؤكد انك صادفت رجالا يستكبرون أن ترأسهم امرأة ؟ فكيف تعاملت مع هؤلاء ؟.**

ـكان حظى سعيدا لأننى لم أصادف أبدا الا كل من قدرونى واحاطونى بالرعايا والاحترام والتعاون . . ففى الكلية وجدت كل التشجيع . . وعندما رشحونى للسفر للخارج وكنت أول فتاة تسافر إلى الخارج قالوا لى : احنا واثقين انك سترفعين رأسنا فى الخارج . .

*** وما النصيحة التى توجهينها إلى فتاة شابة تريد أن تحقق نجاحا فى حياتها العملية ؟.**

ـأولا الصدق والأمانة والاخلاص والقدوة الحسنة ثم العلاقات الانسانية فانا اعتبرها أساسية وهامة فى نجاح الانسان فى عمله . . فاذا طبق الانسان مبدأ عامل الناس كما تحب أن يعاملوك . . فقطعا سيكون موفقا وناجحا فى كل شيء . . ايضا بالنسبة للمرأة . . عدم التطرف فى اختيار الملابس والزينات . . التواضع والبساطة . . وأخيرا أن تتصرف كانسانة فى

مكان عملها ..

*** وإذا سألت عائشة راتب الأم عن علاقتها بأولادها أحمد وصالح فماذا تقول ؟.**

ـ علاقتى بأولادى هى علاقة صداقة وحب ..

*** وهل تتدخلين فى حياتهما الخاصة ؟.**

ـ أتدخل كصديقة فقط .. وهما الآن فى الخارج .. متزوجان .. ابنى الكبير عنده بنتان .. وابنى الصغير لم يقرر الانجاب بعد ..

*** وإذا سألناك عن يومك الآن .. كيف تقضينه ؟.**

ـ أقرأ كثيرا جدا وأعد محاضرات للطلبة فأنا الآن استاذة غير متفرغة فى كلية الحقوق بالاضافة الى أنى سفير بوزارة الخارجية ..

*** واحساسك بالطلبة الآن ؟.**

ـ أشعر الآن أن الطلبة أصبح لديهم اهتمام بالموضوعات العامة .. واحساس عميق بها ..

* * *

هكذا قطعت الرحلة الشائقة داخل عقل السيدة التى اعطت على مدى أكثر من خمسة وثلاثين عاما وما زالت تعطى بلا توقف .. بكل الحب والاخلاص لتثبت دائما ان الانسان .. أى انسان . قيمته فى عمله .. وفى عطائه للناس وللمجتمع الذى يعيش فيه .. وبقدر عطائه يرتفع قدره .. كانسان ..

* * *



صافيناز كاظم :

أشعر الآن بأننى أكثر

تحررا .. وأكثر تطوراً بعد

أن ارتديت الحجاب !!



وجدت أن التراشق الصريح قد فرض نفسه ليكون اسلوب الحوار بينى .. وبينها ..

فالشخصية التى امامى ليست عادية .. مختلفة بكل المقاييس صاحبتها سيدة .. كاتبة صحفية .. مصرية .. بدأت حياتها متحررة جدا .. تشبه « سيمون دى بوفوار » و « فرانسوا ساجان ».. كانت - وهى لم تعبر العشرين بعد - قد زارت ١٤ دولة أوربية على طريقة « الأوتوستوب » أو كما يسميها الأمريكان « الهيتشهايكينج ».. لتحقق وقتها - وبالتحديد عام ١٩٥٨ - أكبر خبطة صحفية أذهلت الصحفيين الرجال قبل الصحفيات النساء ..

وهى الشابة التى رحلت الى نيويورك وحدها لتمضى ست سنوات تدرس خلالها المسرح .. وفنون الدراما .

انها الكاتبة المتميزة « صافيناز كاظم ».. وهى نفسها السيدة المتعمقة جدا فى دينها الاسلامى الآن .. والتى ترتدى الحجاب والجلباب

الطويل وفقا للتعاليم الاسلامية الصحيحة ..

كان لابد وأنا ذاهبة اليها أن يكون ذهنــى فيــه ســؤال أســاسى ومحورى .. هو .. كيف كانـت الـرحلة بيـن أقصى التحـرر .. وأقصى الالتزام .. والتدين ؟..

ومن هذه النقطة المركزية تفرعت الأسئلة الـكثيرة التــى جــالت فى رأسى .. وأنا أستعد للقائها ..

*** كيف انتهت الى هذا الاقتناع .. وهل هــذا يمثــل تنــاقضا مــع الماضى .. أم أنها كانت حلقــات متصــلة .. منــطقية فى ســلسلة واحدة ؟**

*** كيف ترى « صافيناز كاظــم » الثمــانينات .. صــافيناز كاظــم الخمسينات .. هل تتحسر عليها .. أم تلعنها ؟.**

*** لو عاد الشريط ثلاثين عاما الى الـوراء .. فهـل كانـت تسـلك نفس الطريق أم سيكون لها رأى آخر ؟**

وأسئلة كثيرة دار حولها التراشق المركز الذى دار بينى .. وبين سيدة كسرت كل القــواعد .. وكل المــألوف فى كل مــراحل حيــاتها .. واستطاعت ـ عن مقدرة وتمكن كبيرين ـ أن تحتل مـكانة رفيعـة فى عـالم الكلمة .. وان تكون واحدة من النجمات السـاطعات فى سـماء الصـحافة المصرية ..

*** قلت لصافيناز كاظم ..:**

ـ بدأت فى منتهى الانطلاق وقمت بأجرأ رحلة يمكن أن يقوم بها أى صحفى .. وهى الرحلة التى صممت أن تقومي بها الى أوربا .. ولـم يكن معك سوى عشرين جنيها .. لتكتبي عــن تجــربة فــريدة مــن

نوعها .. هى تجربة سفر بنت من بلد عربى لـه تقـاليده وعـاداته الى اوربا على طريقة « الأوتـوستوب ».. والآن نـراك وقـد ارتـديت الحجاب .. وتتحدثين لغة الاسلام وتلزمين نفسك بتعاليمه .. فكيف تفسرين هذا التناقض .. بين البداية .. وما وصلت اليه الآن ؟.

*** وشردت الكاتبة الصحفية « صافيناز كاظم » قليـلا .. وفى عينيهـا نظرة تأمل عميقة شعرت انها تعكس شيئا من النـدم .. ثـم بـدأت حديثها قائلة :**

- فى الحقيقة أن الجيل الذى كنت أنا واحدة منه تعرض لموجة لـطشة تغريبية هائلة .. زورت فيها حقائق كثيرة .. وسـميت فيهـا أشـياء بغيـر اسمائها الحقيقية .. يعنى كلمة « المـرأة العصريـة » كلمـة « الحيـاة الحديثة » فى الواقع كانت كل هذه المسميات صورة مكررة للنموذج الغربى وجزءا من سياسة التغريب .. هذا التغريب الذى اعتبـره نـوعا مـن الغـزو الفكرى .. فكان هناك مخطط شامل كبير لم نـكن منتبهيـن لـه بـأبعاده الحقيقية .. فقد استيقظ وعينا لنجد بلادنا تقع تحـت سيطرة أجنبيـة .. فرنساوى وبعدين انجليزى ومكناش عارفين أيـه الحـدوتة ؟.. وكنـا دائمـا نسمع فى طفولتنا كلمة .. « مفاوضات ».. ونسـأل يقـولوا لنـا يعنـى الانجليز يخرجوا من بلدنا ..

فى نفس الفترة كانت هناك سياسة أخـرى تجعلنـا « نبلـع » كل هـذه الأكاذيب وكل هذه التنازلات .. وكانت هذه السـياسة تسـتخدم الصـحافة للوصول الى أهدافها .. ولـذلك نجـد أن الصـحافة فى مصر وفى المنـطقة كلها ولدت علمانية .. و« علمانية » دى طبعا لها مليون مدلول .. لكن المدلول اللى فعلا بخبرتنا عرفنا أن له معنى هو ليس فقط فصل الـدين عـن

الدولة .. ولكن تنحية الاسلام نهائيا عن حياتنا اليومية بحيث لا يصبح مولدا للتفكير أو .. الرؤى لتصرفاتنا .. « يعنى الاسلام ده شيء يتباس ويتحط جنب الحيطة ».

*** وتأخذ « صافيناز » نفسا عميقا ثم تكمل حديثها قائلة :**

ـ لم يكن عندهم الجرأة لمهاجمة الاسلام مباشرة .. لكن كان فى اسلوب ثان .. كيف تتصرف الفتاة الغربية أو الأمريكية .. وأنا باعتبارى من الجيل الذى انبهر بكتابات القيادات الصحفية فى الثلاثينات ومنهم مصطفى أمين وعلى أمين واحسان عبدالقدوس وأحمد بهاء الدين وأنيس منصور .. كل هؤلاء كانوا يطرحون نموذج فرانسوا ساجان وسيمون دى بوفوار .. وفى صور الأزياء التى تنشر بالمجلات والعناوين المثيرة .. كيف تبرزين فتنتك يا سيدتى ؟ كيف تكونين جذابة ؟ كيف تبدين مثقفة ؟ والثقافة بمفهومهم لم تكن أن نقرأ للجاحظ ولكن أن نقرأ لـ « كامى » و « البرتومورافيا »..

وأنا كنت فى السابعة عشرة من عمرى وواحدة نشأت فى جيل عنده مواهب فى الكتابة وتطلعات .. بدأت أقرأ فى الوجودية وتأثرت جدا بفرانسوا ساجان شكلا وموضوعا .. وأنا أقرأ لأنيس منصور الذى يشيد بها لأنها كتبت « وداعا أيها الحزن » وهى فى الثامنة عشرة من عمرها .. وظل حلمى أن أكتب مثلها وانتظر سنة لكى أكتب مثلها .. حتى نظارتها السوداء قلدناها .. وبدأنا نلبس نظارات سوداء ..

*** وتستطرد الكاتبة « صافيناز كاظم » قائلة :**

ـ لم نكن بعد فى مرحلة تجعلنا ننتبه لهذه الأشياء .. ولذلك فعندما قررت أن أسافر فى جولة « الأوتوستوب » كان النموذج الأوروبى هو

المطروح امامى . . الشاب أو الشابة التى تلف العالم بقروش قليلة لكى تشاهده . . وهذا شيء جيد فى حد ذاته وفى هذا الوقت كنت شابة ومتحمسة . . وكنت أشعر بأن لدى طاقة وحيوية وعايزة ألف العالم . . وكنت أقرأ لطه حسين الذى يقول أن الأمى ليس من يجهل القراءة والكتابة ولكن الأمى الذى لم يسافر ! . . وأقرأ لهؤلاء الذين يكتبون عن جمال ايطاليا . .

ولذلك خططت للفكرة . . وكان هدفى أن اثبت انه من الممكن لفتاة عربية مسلمة أن تخوض هذه التجربة دون الاعتداء على تقاليدها وفعلا ، سافرت مع أختى ـ فاطمة كاظم ـ وكانت أول مصورة صحفية وفعلا سافرنا . . وكانت تجربة جريئة جدا . . والحمد لله لم أكسر تعاليم دينى خلالها فلم أشرب الخمر ولم ارتكب أيا من المحرمات ، ولكنى الآن أقول انها كانت نظرة ضيقة جدا لمفهوم المحرمات فى الاسلام : لأن المحرمات اساسا تبدأ من الملابس التى كنت أرتديها . .

(سافرت ببنطلون وبلوزة وحذاء كاوتشوك) . . ورغم اننى تعبت جدا فى هذه الرحلة وعانيت . . إلا اننى عندما أستعرض الموقف النهاردة اكتشف أن هذا كان خطأ فى التصور ، لأن التخطيط له لم يكن منطلقا من رؤية اسلامية . . وعلى الرغم من أن الله قد حمانا ولم نتعرض لأى اهانة ، الا انه كان من الممكن أن يحدث هذا . .

والآن عندما أفكر فى الموضوع ككل أجد أن هذه الطاقة وهذا الحماس كان من الممكن استغلاله أو تفريغه فى عمل يفيد الاسلام . . فلو كنت قرأت أكثر وتعبت نفسى أكثر لذهب هذا الجهد فيما يفيد أمتى ووطنى وكيانى بشكل كامل . .

*** وهل معنى ذلك انك لم تفيدى أحدا بهذه الرحلة . حتى تجربتك الصحفية ؟..؟**

ـ فائدة مزورة . . كنت أعتقد أن هذا هو التحرر . . والحقيقة لم يكن كذلك . . التحرر الحقيقي هو أن أكون أنا . . لا أن أكون أى انسان آخر . . يعني النهاردة أنا شايفة انى أكثر تحررا وأكثر تطورا وأكثر فائدة وأكثر أصالة شكلا ومضمونا . .

والواقع التاريخى والسياسى يقول إن احنا كمسلمين كنا قوة فى المجتمع الدولى . . قوة سياسية يحسب لها حساب . . أما اليوم ، فلا أجد مكانة لنا فى المجتمع الدولى على المستوى السياسى . . كيف استطاعوا أن يجعلونا نصل الى هذا ؟ بهذه الحملات التغريبية لا تصبح اسماؤنا فاطمة وزينب وخديجة ، بل ريتا وسوزانا وجورج وجاك . . ورغم محاولاتهم ايهامنا بعبارات مثل الاخاء العالمى ، الا انهم ليس لديهم نفس التصور لأنهم مدركون تماما أننا لن نصل لمستواهم ما دمنا نعتقد أن التطور هو المحاكاة الشكلية فقط دون تعمق فى المضمون . .

*** وترسل نظرة تغوص فى الماضي بعين الحاضر .. ثم تقول :**

ـ وأنا لا أنكر اننى سافرت الى امريكا وأمضيت هناك ست سنوات . . سافرت من مصر وأنا مبهورة بما سوف أراه وأعرفه فى امريكا . . وكانت هذه الفترة بمثابة جرس الانذار الذى دق فى أعماقى ليجعلنى أصحو وأعود إلى ذاتى ، وطبعا استفدت من هذه التجربة . . وأهم شيء أستفدته هو اننى تعلمت منهج البحث فى عمق الحضارات وعمق الدراسات . . فدرست ثقافتهم جيدا . . وبدأت أفكر كيف أعود لأبحث فى عمق ثقافتى

*** معنى هذا أن رحلتك الى امريكا كانت بداية لرحلة أخرى قطعتها بينك وبين ذاتك .. انتهت بك الى الاقتناع الكامل بما أنت فيه الآن ؟**

- كان اصرارى طوال مدة وجودى فى امريكا أن اصبر لأتعلم ثقافتى كما صبرت وتعلمت ثقافتهم .. وهذا أوصلنى الى ما أنا فيه الآن .. بالقطع لم أخسر شيئا .. لأن حصيلة الانسان من المعرفة والتجربة سواء سلبا أو ايجابا لا تعتبر خسارة .. لكن كيفية توظيف هذه الحصيلة الى البلورة النهائية أو ما نسميه النضج والوعى والادراك هى ما تفرق بين انسان وآخر ..

*** وهل كانت بلورتك الشخصية لكل خبراتك ومعلوماتك هى التدين والالتزام الصارم بتعاليم الدين الاسلامى ؟**

- اقتناعى الشخصي أن التدين ليس انغلاقا بل هو الانفتاح الحقيقى على الواقع ، وهذا الاقتناع تشكل عام ١٩٧١ عندما واجهت نفسى بصدق شديد .. وقلت لنفسى أن مظهرى الخارجى يتناقض مع واقعى الداخلى .. وقررت أما أن أغير مظهرى الخارجى ليتماشى مع واقعى الداخلى ، وأما أن أغير واقعى ليتماشى مع ظاهرى ..

*** وتسكت صافيناز كاظم .. ثم تقول :**

- وكان ما بداخلى أقوى من ظاهرى ، ولذلك كان لابد أن يبين مظهرى اننى فعلا مسلمة ، وأننى كنت من قبل كاذبة مثل البجع المسحور .. ونحن سحرنا فعلا بالضربة التغريبية .. وأخذنا بالكذب والتزوير .. تزوير لتاريخنا - للخلافة العثمانية .. من أجل تصويرها على انها استعمار .. مثل الاستعمار الانجليزى والاستعمار الفرنسى .. زى النهارده برضه بيعلمونا نهاجم دولة ايران .. لأنهم أعتقدوا عندما انتهت

الخلافة العثمانية أن المسلمين لن يجمعهم شتات .. ولما قامت دولة الاسلام فى ايران بدأوا يألفون لنا روايات جديدة .. يعنى فيه مذابح فى الفلبين .. ومذابح فى كل مكان .. ولكن لا تذكر الا المذابح التى تقام فى ايران ضد المتاجرين بالمخدرات والحشاشين والزناة والشواذ جنسيا .. فايران كانت منتهية .. وكان على الثورة التى قامت لانقاذها أن تطهر البلد من هذه النماذج من البشر الذين انعدمت انسانيتهم وأصبحوا غير صالحين حتى ولا للتوبة .. وكان لابد من ابادتهم لأن وجودهم وباء ... سرطان لابد من استئصاله .. وكما يقول الله سبحانه وتعالى : « والمفسدون فى الأرض » من هو المفسد فى الأرض .. اللى بيشيع الرذيلة ..

*** وتتوقف قليلا ثم تواصل حديثها قائلة :**

ـ باختصار أحب أن أقول أن العقلية المسلمة لازم تتحرر وتحسب حساباتها من خلال رؤيتها الخاصة وتوصل لنقطة سواء صح أو خطأ .. المهم ان تكون رؤيتها هى النابعة من مصالحها ..

ولكن ما يحدث اننا فى مصر مثلا نقول أننا دولة اسلامية .. ومع هذا فنحن فى الموضة مثلا ننتظر فرنسا وامريكا لتقرر لنا أزياء السنة علشان نلبسها .. فلماذا لا نقرر نحن ؟..

*** وتطلق تنهيدة عميقة .. تحمل زفيرا طويلا وكأنها وضعت عن كاهلها أثقالا كانت تحملها وتنوء بها .. ثم تقول :**

ـ أنا أعتقد أنى الآن أصبحت أكثر تحررا بالزى الاسلامى .. متحررة من أى مؤثر خارجى .. ويعجبنى جدا أن يفكر بعض الناس فى تصميم زى اسلامى للمحجبات وأرى فى هذا استقلالا وانسلاخا من عاصمة

الموضة باريس .. لأن ما هو رذيلة عندنا .. فضيلة عندهم ..

*** وتعود صافيناز كاظم لتقول :**

ـ بعد وصولى الى الاقتناع التام بطاعة الله والرسول .. واتباع كتاب الله بتفاصيله وقراءة تفسير الفقهاء والعلماء لنصوصه الكريمة .. أشعر الآن بقوة غريبة .. غير منفصلة عن الداخل .. أحس كأننى شجرة كانت فروعها مبعثرة فتجمعت فى منطق متجانس .. كل شيء داخلى متجانس واحساسى بالحرية الحقيقية كبير ..

*** وهل ما زلت تؤمنين بعمل المرأة ؟**

ـ نعم .. وعندى الشجاعة لأن أرد على من يقول أن عمل المرأة حرام ، ولكنى لا أرد عليه من منطلق نوال السعداوى .. بل من منطلق صافيناز كاظم المسلمة اللى دارسة دينها وعارفاه كويس ..

وفى أكثر من سورة فى القرآن نجد الحديث عنا كانسان سواء كنا ذكورا أو إناثا ..

وعندما نتأمل الآية التى يقول فيها سبحانه :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ».

ونسأل انفسنا ما هو مفهوم العبادة فى الاسلام .. فسندرك انها العمل .. أن انتج وأعمل الى آخر دقيقة فى حياتى .. فالعبادة فى المفهوم الاسلامى هى أن أعمر الأرض التى خلقها الله بالخير من خلال العدل والحق والجمال والرحمة والتراحم ..

* * *

*** تبادر الى ذهنى أن أسألها عن موقفها .. الآن .. من قضية تحرير المرأة ..**

ـ فأجابتني ان موقفي من هذه القضية .. انها استغلت من قبل قوى التغريب في مصر .. وحولت القضية الى حملة للسفور .. سرقوا قضية تحرير المرأة .. وطرحوا حملة السفور .. فلو كانت « هدى شعراوى » قد أدركت هذا ما كانت فعلت ذلك .. ولأقتدت بـ « ملك حفنى ناصف » التى هاجمت « قاسم أمين ».. هذا الرجل الذى أطلقوا عليه لقب « محرر المرأة ».. وهو في الحقيقة رجل ضحل جدا .. قرأت أعماله الكاملة .. فأكتشفت انه رجل مشوش التفكير .. غير مستقيم العبارة .. يملك سخرية ممجوجة جدا .. متناقض في آرائه الى حد كبير .. كان التحرر في نظره أن تثور المرأة على مجتمعها .. وتصبح خصما لشريعتها .. وتخلع الحجاب ..

وتسكت لحظة .. ثم تقول بتهكم :

ـ هذا هو التحرر .. كما يراه قاسم أمين ..

*** وتستطرد « صافيناز كاظم ».. قائلة :**

ـ أما « ملك حفنى ناصف » وكانت مدرسة وأستاذة .. فقد وضعت برنامجا لتحرير المرأة من منطلق اسلامى .. وكان رائعا .. لم تدع أبدا للسفور .. ولا للخلاعة .. ولكنها دعت الى تعليم المرأة .. ونادت بأن تكون المشرفة على البنات المسلمات .. مصرية مسلمة .. غير مشكوك في دينها .. وذلك لكى تكون قدوة ..

*** وترتفع نبرة صوتها انفعالا .. وتقول :**

ـ والغريب أن يقولوا ويكتبوا أن هدى شعراوى هى محررة المرأة .. لأنها في عام ١٩٢٣ قادت مظاهرة ضد الاحتلال الانجليزى .. ونزعت الحجاب .. وألقت به على الأرض وداست عليه ..

هم اعتبروا أن الخطوة دى هى انطلاقة المرأة .. وأنا أقول لا .. انطلاقة المرأة المصرية المسلمة كانت يوم خرجت سنة ١٩١٩ فى مظاهرة

بنقابها وحجابها تلعن الاستعمار وتنادى بسقوطه .. وسارت بجوار الرجل .. بكل احترام مظاهرة النساء .. ووراءها مظاهرة الرجال .. واستشهد منهن الكثيرات برصاص الانجليزى .. ولم يخفن ..

*** قلت لصافيناز :**

- اذا تكلمنا عن جانب آخر فى حياتك .. أو تجربة أخرى كان لها تأثير عميق فى حياتك .. وأقصد الاعتقال والفصل .. أو المنع من الكتابة .. فما هى الأسباب التى أدت الى ذلك ؟

- وتعود « صافيناز » بظهرها تستند الى مقعدها .. وتقول .. وقد ارتسمت على وجهها علامة تعجب كبيرة ..

- السبب الوحيد اننى قلت رأيى ..

ولكن طبعا لكى أسجن لابد أن يكون هناك اسباب معلنة .. فألفوا حكاية انى شيوعية .. حتى وأنا محجبة اتسجنت بتهمة انى شيوعية !!

*** وتحكى « صافيناز » ذكرياتها مع الاعتقال ..**

- كانت المرة الأولى عام ١٩٧٣ وكنت وقتها أحمل فى احشائى ابنتى نواره ».. أما المرة الثانية فكانت عام ١٩٧٥ وكانت ابنتى لا تزال ترضع .. ولم أكن قد فطمتها بعد .. فأخذتها معى الى السجن حتى جاءت أمى وأخذتها منى ..

أما المرة الثالثة فكانت عام ١٩٨١ فى اعتقالات سبتمبر الشهيرة ..

*** وماذا عن المنع من الكتابة .. كيف تم .. ولماذا ؟**

*** قالت :**

ـ منعنى يوسف السباعى بعد أن كتبت مقالا أهاجم فيه عبدالحليم حافظ .. وكان ذلك عام ١٩٧٢ .. ثم منعتنى أمينة السعيد عام ١٩٧٩ مرة أخرى ..

*** وتتذكر « صافيناز كاظم » كيف دخلت « أخبار اليوم ».. وكان عمرها ١٧ عاما .. كانت طالبة بالصف الثانى الثانوى .. وتقول :**

ـ علمتنى « أخبار اليوم » أشياء كثيرة .. رغم تحفظاتى الآن ـ على بعضها .. الا أننى لا أنكر أننى تعلمت المهنة .. تعلمت احتراف الصحافة .. والفضل لـ « مصطفى أمين وعلى أمين ».. فهما مدرسان جيدان علمونا كل فنون المهنة .. كيف نقف فى المطبعة .. كيف نبحث فى الأرشيف .. كان « مصطفى أمين » يجبرنا على العمل فى الأرشيف فى فترة التدريب الأولى لكى نصقل ثقافتنا ونوسع دائرة معلوماتنا وخلفياتنا ..

*** وتسكت لحظة .. ثم تقول :**

ـ مفيش حاجة مشتغلتهاش فى « فى أخبار اليوم »..

*** وتكمل كلامها :**

ـ « موسى صبرى » ايضا مدرس ممتاز جدا كان يعطينا مصادره ويساعدنا فى الاتصال بهم .. ولا يبخل بشىء فى مساعدتنا فى أول الطريق .. و« مصطفى أمين ».. وهو صاحب الدار .. كان يعطينا ثقة كبيرة واحترام أيضا .. فكنا ندخل عليه بلا استئذان أو موعد مسبق .. فقد كان بابه مفتوحا لنا كلنا .. وكان هذا يشعرنا بأهميتنا حتى ونحن نحبو فى بلاد صاحبة الجلالة .. كان ايضا يساعد البنات فى اثبات

جدارتهن لايمانه الشديد بقدرة المرأة فى مجال الصحافة وبأنها قد تتفوق على الرجل احيانا اذا احبت هذه المهنة .. وكان داخلها شيئا تقدمه ..

ولهذا فقد ظهرت فى جيلى صحفيات لامعات منهن سناء البيسى وسناء فتح الله وسميحة صبور وسناء الغزالى ..

*** كان لابد ألا ينتهى حوارى مع « صافيناز كاظم » دون أن أسألها .. كيف ترى فكرة المساواة بين الرجل والمرأة الآن من منطلق قناعتها الاسلامية ؟**

*** وبصوت تملؤه الثقة قالت :**

ـ هذه الفكرة موجودة فى الاسلام لاننا أمام الله ـ سبحانه وتعالى ـ انسان .. ومسألة الأنثوية والذكورية هذه مسألة جزئية من الشخصية الانسانية .. خلقت لهدف معين .. من أجل تعمير الأرض .. وتوزيع المسئوليات كما جاء فى القرآن الكريم .. جاء بشكل منطقى جدا .. فالرجل له دوره ... والمرأة لها دورها .. فقد حرم الرجل من تحمل مسئولية الحمل والولادة .. وهى مسئولية ضخمة وعظيمة .. وليس معنى ذلك انه أقل من المرأة .. لكنه لم يهيأ لذلك ..

*** وتستطرد قائلة :**

ـ والمسألة كلها تعادلات .. فما أخذ من الرجل فى جانب من الجوانب يعطى له فى جانب آخر .. وكذلك المرأة .. والمساواة أن تكون الحقوق نسخة طبقة الأصل .. لكننا نجدها فى النهاية متساوية ، وهذا التساوى يعطى نوعا من التناسق .. فقد خلق الله المرأة والرجل فى انسان كامل .. وكلمة مساواة هى طرح علمانى لقضية مستثارة ومفتعلة .. لأن الاسلام غاص الى الجوهر ..

- « **كلكم سواسية كأسنان المشط** »..

ولم يقل .. كل الرجال متساوون كأسنان المشط .. قال : « **كلكم لآدم .. وآدم من تراب** ».. وقال : « **امرأة تقية خير من رجل فاسق** » وهناك فى القرآن آيات عظيمة تعطى للمرأة كامل حقوقها واحترامها .. والرجل الذى لا يتقى الله مع امرأته يكون عدواً لله . . « اتقوا الله فى النساء ».

*** وتسكت لحظة .. ثم تقول :**

- ارجعى الى سورة النساء وصورة الطلاق تعرفين كم من الحقوق اعطاها الاسلام للمرأة .. ولكنها للأسف تعرف القليل جدا منها ..

*** وتركت « صافيناز كاظم ».. التى قالت لى فى نهاية حوارنا :**

- أنا أديت فريضة الحج عام ١٩٧١ .. واستغفرت الله - تعالى - عن كل ذنوبى السابقة .. وبالتحديد .. سميتها واحداً .. واحداً .. وأنا على جبل عرفات .. استغفر ذنبى من سفرى الى أوربا .. أستغفر ذنب نفاقى .. استغفرت ربى وبايعته .. مجددة وكأنى أعتنقت الاسلام من جديد ..

* * *

*** عند هذه النقطة انتهى الحوار - أو هذا التراشق - مع الكاتب الصحفية « صافيناز كاظم ».. وجمعت أوراقى .. لأتركها فى عالمها الخاص .. مع اقتناعها الراسخ .. الذى تبلور خلال رحلتها الشاقة .. من أقصى التحرر .. إلى منتهى الالتزام ..**

* * *



حسن شاه :

دخلت الصحافة لأكون كاتبة

فتقدمت الصحفية .. وانكمشت الكاتبة !



*** حدث ذلك قبل أكثر من ثلاثين عاما ..**

كانت فتاة صغيرة .. متفجرة الطموح والحيوية .. ناداها حب من نوع خاص .. فلم تستطع مقاومته .. بل تركت فى سبيله كل شىء وأسرعت لتلقى بحياتها .. وشبابها .. وكل طاقاتها وموهبتها فى أحضانه ..

أما الفتاة الصغيرة .. فكانت الكاتبة الصحفية المعروفة حسن شاه .. التى تولت عام ١٩٨٤ منصب أول رئيس تحرير لمجلة - غير نسائية - فى مصر .. مجلة الكواكب ..

وأما الحب الكبير الذى تركت الفتاة الشابة كل شىء من أجله قبل ثلاثين عاما .. فكان حبها للصحافة .. وعشقها لبلاط صاحبة الجلالة ..

* * *

ولم يكن الحب الذى وهبته كل ما تملك سرابا أو وهما .. بل كان كيانا يستحق كل هذا العطاء .. فكانت كلما أعطت أخذت .. وكلما كافحت .. ارتفعت .. وتقدمت بخطى ثابتة .. واسعة ..

ولمعت الكاتبة الصحفية .. صاحبة القلم المميز .. والأسلوب السلس الشائق .. الذى عبر من خلاله الصحافة الى عالم الأدب الرحب .. وكتبت قصة فيلمها الشهير « أريد حلا » الذى أحدث دويا كبيرا ليس فقط فى مصر .. بل على مستوى العالم عندما رشح الفيلم لنيل جائزة الأوسكار العالمية لعام ١٩٧٥ ..

فكيف كان المشوار الطويل الذى بدأ بحلم جميل .. وتضحية كبيرة .. وانتهت الآن الى حقيقة تجسد قصة حب وعطاء كبيرين .. قصة أثمرت نجاحا رائعا لسيدة مصرية فى مهنة البحث عن المتاعب ..

الشيء الطريف .. أننى كنت من المعجبات بكتاباتها .. وأنا لم أزل بعد فى مرحلة الدراسة الثانوية - قبل أن أدخل عالم الصحافة - ولكنى كنت أعتقد أنها رجل اسمه « حسن ».. واكتشفت بعد عملى بجريدة « الأخبار » التى كانت تعمل بها وقت أن بدأت عملى بالأخبار أنها سيدة .. وأن اسمها « حُسن » - بضم الحاء - كنت أجد فى كتاباتها عمقا وقدرة وتمكنا .. وكثيرا ما كنت أشعر مع سطورها وكأنها تقول بالضبط ما أريد أن أقوله أنا ..

ولهذا السبب كانت « حسن شاه » من الشخصيات التى أحببت أن أتحاور معها .. وأغوص بقدر الامكان فى أفكارها .. وأعماقها .. كان عندى الكثير الذى أريد أن أعرفه عنها .. عن حسن شاه الانسانة .. الصحفية .. الكاتبة .. الزوجة .. والأم ..

وكان حوارنا الذى فتحت لى خلاله قلبها .. وسمحت لى بالتجول بين أفكارها ..

*** قلت لها :**

ـ لديك اهتمامات متعددة .. مختلفة .. فأنت رئيسة تحرير .. وأنت أيضا كاتبة أديبة .. وكذلك ناقدة فنية .. فأين تجدين نفسك أكثر ؟

*** وبدأت حسن شاه تجيب عن سؤالى .. والبساطة الشديدة تنطق على ملامح وجهها .. قالت ..**

ـ أنا أحب أن أكون صحفية .. لا يهمنى أن أكون رئيسا للتحرير .. لأننى أعتبر أن هذا تحصيل حاصل .. فليس ضروريا أن يكون رئيس التحرير هو أحسن الموجودين .. وعندنا فى كثير من الجرائد والمجلات كتاب أكبر قيمة وشهرة من رئيس التحرير .. رغم أنهم ليسوا رؤساء تحرير ..

فالقيمة الصحفية هى الأهم .. والاسم الذى يحفره الصحفى طوال مشواره هو القيمة الحقيقية .. وهو فى رأيى أهم من اللقب الادارى لرئيس التحرير ..

*** وهل تجدين نفسك فى الصحافة .. أكثر أم فى الأدب ؟**

ـ أنا دخلت الصحافة لكى أكون كاتبة .. ولكن الصحافة شدتنى .. لأننى كنت فى مدرسة صحفية كبيرة جدا ـ تقصد مدرسة أخبار اليوم ـ انتظمت فيها وأصبحت أحد تلاميذها المجدين .. فتقدمت الصحفية وانكمشت الكاتبة فى حدود ضيقة .. كنت أتمنى أن تكون أفضل من ذلك بكثير ..

*** وما هو شعورك بعد أن حققت حلم كل صحفى مبتدىء .. وهو أن يصبح رئيسا للتحرير .. ألم يكن هذا حلمك .. وأنت صحفية صغيرة ؟**

ـ أنا لم أفرح كثيرا بمنصب رئيس التحرير .. فكما قلت قيمة الصحفى والكاتب عندى أهم من الادارى .. وعندنا أسماء لامعة وكبيرة فى مصر أهم من رؤساء التحرير ومنهم .. مصطفى أمين والمرحوم جلال الدين الحمامصى وأحمد بهاء الدين وهيكل .. فهؤلاء .. وغيرهم أكبر من منصب رئيس التحرير .. وأكبر قيمة ..

*** وتستطرد حسن شاه .. قائلة :**

ـ ونقطة أخرى أيضا باعدت بينى .. وبين الحلم بهذا المنصب .. وهى يقينى أن رئاسة التحرير فى مصر مقصورة على الرجال فقط .. ولذلك لم أفكر فى المستحيل .. فقط كنت أسعى دائما لأن أكون صحفية متفوقة ..

*** وتتوقف قليلا .. ثم تقول :**

ـ وأعتقد أن الصحفيات فى مصر لم يأخذن حظهن مثل الرجال أو بنفس الدرجة .. فعندنا فى جيلى والأجيال التى تلته عدد كبير من الصحفيات اللاتى كان من الممكن جدا أن يصبحن الآن فى مراكز قيادية مهمة جدا .. ولكنهن .. بكل أسف .. لم يفزن بهذه المراكز .. ولم تتح لهن الفرصة .. والسبب الوحيد فى هذا أنهن سيدات ..

على الرغم من كفاءتهن .. وموهبتهن الصحفية التى لا تقل عن زملائهن الصحفيين أن لم تكن أفضل ..

*** وتستكمل حديثها .. فتقول :**

ـ لذلك لم أكن أحلم بمنصب رئيس التحرير ، لأن المكان الوحيد الذى كان مفتوحا أمام الصحفيات النساء هو المجالات النسائية مثل مجلة « حواء » ..

ورغم احترامى الكامل .. وايمانى برسالة وأهمية المجلات النسائية .. إلا أننى لم تكن لدى اهتمامات فى الصحافة النسائية .. كانت اهتماماتى فنية أكثر .. وكنت اتساءل .. لماذا لا تكون هناك رئيسة تحرير لمجلات أخرى غير المجلات النسائية فى مصر ..

لماذا لا يكون عندنا رئيسة تحرير لمجلة سياسية أو اقتصادية أو غيرها .. لا أعرف .. ولكن .. منطق ووضع ظلمت معه الكثيرات من الصحفيات اللاتى استحققن بجدارة تولى هذه المناصب ..

*** وانتقل مع حسن شاه الى مرحلة أخرى فى حياتها أو محطة مهمة فى مشوارها .. فأسألها عن شعورها عندما عينت رئيسة لتحرير مجلة « الكواكب » بدار الهلال .. لتترك لأول مرة فى حياتها الدار التى كبرت .. وتعلمت .. وصنعت اسمها الصحفى بها .. مؤسسة أخبار اليوم ..**

*** وتطلق حسن شاه تنهيدة عميقة .. ثم تبتسم ونظرة حزن ترتسم بنعومة فى عينيها .. ثم تقول :**

ـ عمرى كله .. شبابى كله فى أخبار اليوم .. لم أعمل يوما فى حياتى خارج أخبار اليوم ـ ٣٠ سنة فى داخل هذه الدار ـ تركت بلدى ـ تقصد مدينة الاسكندرية التى هى مقر منزل عائلتها وأهلها ـ وتركت مهنتى الأصلية فقد كنت أعمل كمحامية فى الاسكندرية .. وكنت أقضى فترة التدريب بأحد مكاتب المحاماة بالأسكندرية .. وفى ذلك الوقت كنت أراسل أخبار اليوم عن طريق مكتبها الفرعى بالاسكندرية وبعد ستة أشهر من مراسلتى لها .. بعث الى صاحب الدار على أمين خطابا يطلب مقابلتى .. فسافرت الى القاهرة .. وأنا أكاد أطير فرحا .. ومشاعر

القلق والاضطراب تسيطر على ..

*** وتتوقف قليلا وعيناها سارحتان .. كأنهـا تبحث عن تفاصيل ما حدث فى هذا اليوم فى صفحات ذاكرتها .. ثم تقول :**

- ورغم أننى كنت أرى موضوعاتى التى أرسلها الى الجريدة منشورة وكان هذا يعنى أنها حازت الرضا من صاحبى الجريدة مصطفى وعلى أمين .. الا أن الرهبة من هذا اللقاء الكبير كانت تلفنى بمشاعر متناقضة .. مضطربة .. خائفة ..

ولكن الحب الحقيقى لا تقف أمامه عقبة مهما كانت .. فكرت « حسن » وقالت أحسن شىء أن أعلن قرارى هذا بالتدريج .. فأقول لوالدى أن الاستاذ على أمين طلب منى أن أسافر الى القاهرة .. وأقضى فترة قصيرة للتدريب فى مقر الجريدة الرئيسى حتى تتاح لى فرصة التعرف على طبيعة العمل الصحفى .. وأقنعته أن تقيم عند خالها بالقاهرة أثناء هذه الفترة ..

وجاءت الى القاهرة لتضع قدميها على أول الطريق ..

- نشرت كل موضوعاتى دون أن تعاد كتابتها أو يعدل فيها حرف واحد .. وعلى عكس المشكلة التى يعانى منها بعض الصحفيين أن موضوعاتهم لا تنشر .. عانيت أنا من مشكلة أخرى هى أن موضوعاتى كانت تنشر بسرعة جدا .. وكنت أنا المقلة بالنسبة لسرعة النشر .. وكانت هذه المشكلة نابعة من أننى كنت اذا اشتغلت فى موضوع .. فلابد أن يكون فى النهاية كما يجب أن يكون .. لا أحب الموضوعات السهلة التى لا تحتاج لمجهود .. بل كنت أبحث عن الاجادة والتميز ..

ولكن .. ما حدث بدد كل هذه المشاعر فى دقائق .. فقد استقبلنى

الاستاذ على أمين بكل الترحيب والتواضع .. وشجعنى أن أبدأ بداية حقيقة كصحفية متفرغة .. وليست هاوية ..

قال لى يومها عبارة لا أنساها حتى الآن .. قال .

- « أنت يا حسن قماشة كويسة .. وخسارة أن تهدرى موهبتك الصحفية لأن استعدادك ممتاز ..

وتروى حسن شاه كيف كان هذا اللقاء نقطة التحول الحقيقية فى حياتها .. فقد سافرت الى الاسكندرية وقد قررت بينها وبين نفسها أن تلبى نداء حبها الكبير .. وعشقها الوحيد للصحافة ..

كان أمامها عقبة .. فكيف تصارح والدها الذى كان محافظا للغاية ؟ كيف تفاتحه فى هذا الموضوع ؟ كيف تقول له أنها ستتركه وتترك أمها وبلدها التى ولدت وتعلمت وعملت بها طوال حياتها .. كيف تترك مهنة المحاماة بعد أن درست القانون لمدة أربع سنوات كاملة بعد أن بدأت بالفعل ممارسة عملها محامية ؟.

*** وتستطرد حسن شاه .. قائلة :**

- أنا أعتبر نفسى محظوظة لأننى عملت مع عملاق كبير هو الأستاذ على أمين - رحمه الله - وتتلمذت على يد توأمه مصطفى أمين ، فقد كانت اجتماعات يوم الجمعة التى يعقدها مدرسة أكبر من أى مدرسة صحفية فى مصر ..

كنا نترك بيوتنا فى يوم الأجازة لنحضر هذا الاجتماع .. فقد كان له قدسية كبيرة .. ليس فقط عند محررى أخبار اليوم .. بل كان يحضره صحفيون من كل المؤسسات الصحفية الأخرى ..

*** سألتها :**

الصحافة هى مهنة « البحث عن المتاعب ».. فما هى أهم العقبات التى اعترضتك فى مشوارك الطويل .. كصحفية ؟..

*** قالت :**

ـ اننى أعتبر نفسى محظوظة لأنى دخلت الصحافة فى وقت كانت القيادات الصحفية فيه تشجع المرأة .. خاصة مصطفى وعلى أمين اللذين عملت معهما .. وكان لهما دور خطير فى تشجيع دخول المرأة الى الصحافة .. وتثبيت اقدامها .. وتأكيد قدرتها على النجاح والتفوق ..

كذلك كان موسى صبرى استاذى الذى تعلمت على يديه الكثير والكثير .. فهو صحفى حتى النخاع .. معلم صحافة .. وكان حظى بالفعل موفقا لأننى عملت معه .. وراقبت طريقة عمله .. واحساسه بالموضوع الجيد .. وحماسه للفكرة الجديدة .. كل ذلك ساعدنى كثيرا ..

وطبيعى اننى قابلت عقبات كان أهمها أن مصادر الأخبار كانوا ينظرون الى الصحفية نظرة تحمل الشك فى قدرتها على استيعاب الكلام أو صياغته بأسلوب صحفى سليم .. وكانوا يعتقدون أن هذه القدرة ينفرد بها الصحفيون الرجال فقط ..

وكان ذلك يتطلب من الصحفيات أن يبذلن جهدا مضاعفا لاقناع مصادرهن بانهن قادرات على العمل بهذه المهنة .. وأن لديهن الموهبة والاستعداد مثل زملائهن الرجال ..

*** وتستطرد حسن شاه .. قائلة :**

ـ ولكن العقبة الأهم التى قابلتنى ـ ليس باعتبارى امرأة .. بل عانى منها كل الصحفيين .. رجالا ونساء ـ على حد سواء .. كانت التغييرات

الكبيرة التى طرأت على الصحافة فى مصر بعد التأميم .. وفى أخبار اليوم بالذات .. حيث حدثت علينا الاغارة من أقصى اليسار الى أقصى اليمين .. فتأتى قيادات يسارية .. تعقبها قيادات يمينية .. ونرى صاحبى الدار مصطفى وعلى أمين مشردين .. ومع كل قيادة جديدة كان علينا أن نثبت هذه القدرة من جديد عند تولى القيادة الجديدة ..

*** وتتوقف قليلا .. ثم تقول :**

ـ كل هذا منع أو أبطأ من انطلاقنا كصحفيين .. كانت التغييرات سريعة وغريبة لدرجة كان من الصعب معها أن يظل الصحفى محتفظا بتوازنه ..

*** وكيف تعاملت مع هذه الظروف الصعبة كصحفية كل طموحها ـ كما ذكرت ـ أن تصنع أسما ومكانة عند القراء ؟**

ـ فى هذه الفترة حاولت أن أدعم نفسى بالدراسة .. وكنت قد بدأت أشعر بميل الى النقد الفنى .. وفعلا بدأت أكتب نقدا ولكن باحساسى الفطرى .. صحيح انه كان يحوز اعجاب كبار الكتاب والصحفيين .. ولكننى داخليا كنت أشعر أن شيئا لا يزال ينقصنى .. وهو الدراسة التى تكمل حسى الفنى المتذوق .. لذلك قررت أن أدرس .. وكان وقتها الدكتور رشاد رشدى يفكر فى انشاء قسم لدراسة المسرح والنقد الأدبى والدراما فى الجامعة الأمريكية .. فالتحقت بهذا القسم .. ودرست لمدة أربع سنوات .. وبعدها دخلت معهد السينما « قسم اخراج وسيناريو » .. وتخرجت فيه ايضا .. وكنت سعيدة لاننى أكمل الجانب العلمى فى عملى الصحفى .. الجانب الذى يجعلنى اقف على ارض صلبة وانا اكتب لقارئى .. ولا أشعر اننى اضحك عليه واعطى له انطباعاتى الشخصية

التى قد لا تستند الى أساس علمى ..

*** كنت أول صحفية تثير الرأى العام وتهزه بقوة فى قصة فيلمك « أريد حلا ».. ولكن مع الأسف .. لا تزال كل ثغرات قانون الأحوال الشخصية التى جسدتها فى قصتك موجودة حتى الآن .. فما هو تحليلك لهذا الموقف ؟**

*** قالت :**

- المشكلة عندنا فى هذه الأمور بالذات .. ان الرجال يمارسون نوعا من الارهاب الفكرى .. فكل شيء تطالب به المرأة من أجل انقاذ المجتمع من خلال الحفاظ على كيان الأطفال .. يقولون أن الشريعة لا تقره والاسلام لا يسمح به .. وأنا أعتبر هذا المنطق تشويها لتعاليم الاسلام .. فأنا قرأت وبحثت كتب الشريعة والفقه .. وعرفت القدر الهائل من الحقوق التى يعطيها الاسلام للمرأة .. والسماحة المتناهية التى أوصى بها فى التعامل معها ..

ولكن للأسف .. فى التطبيق الواقعى .. والقانون الوضعى انتزعت منها هذه الحقوق ..

*** وتستطرد حسن شاه .. قائلة .. والانفعال يظهر على ملامحها :**

- مثلا أبسط الحقوق أن الزواج الصحيح .. ركن من أركانه الرضا .. فاذا انتفى ركن الرضا .. أصبح الزواج باطلا شرعا .. هذا الركن حولته التقاليد عندنا الى شيء آخر .. فالفتاة تجلس فى حجرة .. والمأذون فى حجرة أخرى .. ويدخل اليها وكيل يسألها ما اذا كانت موافقة أم لا .. ثم يخرج .. ويقول للمأذون .. إنها موافقة ..

معنى ذلك أن أبسط الحقوق سلبت من المرأة .. وقيسى على ذلك

الحقوق الأخرى ..

أمر آخر .. الاسلام يوصى الرجل بمعاشرة الزوجة بالمعروف أو يفارقها باحسان .. وبعض الرجال يرفعون شعار « حسيبها زى البيت الوقف » بمعنى انه سيتركها معلقة بلا زواج .. ولا طلاق ويعتقدون أنها شهامة أو رجولة ..

ولو دخلنا فى قضية تعدد الزوجات .. الاسلام قال : « **ولن تستطيعوا أن تعدلوا** » ووضع شرط العدالة لأن الاسلام عندما نزل كان الرجال يتزوجون أى اعداد من النساء .. فوضع الاسلام حدا لهذه الفوضى بأن جعلها أربع على المدى البعيد ... ووضع شروطا لهذا التعدد ..

ولا يمكن أن يكون الاسلام قد منح هذه الرخصة لكى يظلم بها النساء لأنه دين سماحة .. ومسألة التعدد الظالم بلا سبب حقيقى يجعل المرأة تشعر بالقهر والظلم وعدم الأمان .. والمرأة نصف المجتمع .. فهل يعقل أن يشعر نصف المجتمع بأنه مضطهد ومظلوم وحقوقه مسلوبة ؟ معنى ذلك أن ينعكس هذا الاحساس على تصرفاته مع النصف الآخر - الرجال - فيتعامل بخبث ولؤم .

وأنا فى فيلمى « أريد حلا » أطلقت صرخة كبيرة جدا تقول إن الشريعة تقول أشياء .. ولكن هناك رجالا يفسرون الشريعة من وجهة نظر رجالية بدون الحرص على المجتمع الاسلامى .. كان الفيلم صرخة تحذير ، وحرصت على أن أعرضه على عدد كبير من المشايخ فى الأزهر الشريف ولم يجدوا فيه أى خروج على الشريعة الاسلامية ..

« المرأة المصرية سلبية جدا »

*** وتستطرد .. قائلة :**

ـ قامت الدنيا ولم تقعد عندما صدر قانون جديد للأحوال الشخصية به بعض التعديلات الطفيفة التافهة وثار الرجال .. وأنا أعتبر أن المرأة المصرية أصبحت سلبية بشكل فظيع .. فلولا سلبيتها ما سلبت منها حقوقها التى أقرها الاسلام وسلبها منها الرجال ..

*** وتقول حسن شاه :**

ـ يكفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وصيته الأخيرة « **أوصيكم بالنساء خيرا** » وكانت هذه آخر وصية له فى الدنيا ..

« أول كمسارية »

*** قمت بعدة مغامرات صحفية فى بداية حياتك .. فكنت أول كمسارية فى مصر .. وطرقت ابواب مكاتب التزويج (الخاطبة) تطلبين عريسا .. فما هى أهم التحقيقات والموضوعات التى كان لها الفضل فى صعودك سلم الصحافة بسرعة الصاروخ ؟**

ـ أنا اشتغلت كل حاجة فى الصحافة ابتداء من الخبر الصغير الى خبر المجتمع الى التحقيق الصحفى والاستفتاء والأحاديث الصحفية .. ولكن هناك بالطبع موضوعات لا ينساها الصحفى .. فمثلا كنت أول من تقمص شخصيات فى المجتمع ليرصد رد فعل الجمهور الحقيقى تجاهها .. ففى سنة ١٩٥٦ أرتديت ملابس كمسارية وقمت بتحقيق صحفى .. كان نتيجته أن دخلت المرأة هذا المجال فى مصر لأول مرة وعينت اعداد كبيرة من البنات فى هذه المهنة .. وكنت أريد فى هذا التحقيق أن أثبت أن المرأة تستطيع أن تنجح فى كل المهن التى يعتقد الرجال انها لا تصلح لها .. ولكن للأسف فشلت التجربة .. ليس بسبب البنات اللاتى اشتغلن كمساريات .. ولكن بسبب المضايقات المستمرة من زملائهن

الرجال الذين اعتبروهن أعداء لابد من مقاومتهن ..

وتضحك حسن شاه وهى تتذكر مغامراتها الصحفية الطريفة .. وتقول :

ـ ايضا لبست مرة ملاية لف وكانت أيامها العدسة « الزوم ».. طالعة جديد .. وهذه العدسة تقرب الأشياء البعيدة .. وذهبت مع زملائى المصورين أحمد يوسف ومحمد بدر إلى مكاتب العرضحالجية نكتب جوابا لمكاتب التزويج أطلب فيه عريسا .. وكنت أستمع عند هؤلاء العرضحالجية الى شكاوى السيدات الأميات ومشاكلهن واكتب كل هذه المشاكل فى مجلة « الجيل » ثم مجلة « آخر ساعة » بعد أن انتقلت إليها ..

ومن التحقيقات التى لا أنساها أيضا التحقيق الذى أجريته فى بنوك الدم .. وانكشف أمرى فى هذا التحقيق لأننى خفت .. فالتحقيق كان يدور حول الأشخاص الذين يبيعون دمهم عدة مرات الى أن يفقد مكوناته الطبيعية والحقن الملوثة التى تنقل من متبرع الى آخر .. ولذلك كان الخوف مسيطرا على عندما جاء دورى فى التبرع .. وعرفوا اننى صحفية ..

« مغامرة خطيرة »

أما الخبطات الصحفية الكبيرة فى حياتى فكانت دخولى الى الجزائر عام ١٩٦٢ كأول صحفية .. والتقيت وقتها بالفدائيين الجزائريين العائدين الى بلادهم والذين كانوا قد هربوا أثناء حرب التحرير وأجريت حديثا مع أم (بن بيلا) قائد جيش التحرير .. كان دخول أى صحفى فى ذلك الوقت خطيرا جدا لأن الحدود لم تكن قد فتحت بعد ، وكان الرئيس جمال

عبدالناصر يرسل لجيش التحرير الأسلحة والمساعدات .. ولم تكن فرنسا قد جلت نهائيا عن الجزائر .. ولذلك دخلت عن طريق المغرب من مدينة اسمها « وجده ».. وأحاطني الجزائريون بمشاعر فياضة من الحب لأنني صحفية مصرية .. وكانت هذه من الأيام التي لا أنساها في حياتي الصحفية ..

« وخبطة أخرى »

وخبطة أخرى .. كانت عندما قضيت شهرا مع جيش التحرير الفلسطيني بالأردن في الأغوار بالجبل وسط الضرب والقنابل .. وسجلت هذه الأحداث بالتفصيل في ١٢ حلقة كتبتها لآخر ساعة ..

ومن الأشياء التي أعتز بها ايضا أنني غطيت تحركات السيدة جيهان السادات اثناء حرب أكتوبر .. فعايشتها لحظة بلحظة .. ولا أنكر أن اسناد الاشراف على الصفحة الأدبية الى كان وقفة أخرى في حياتي الصحفية ونقلة تدل على ثقة الرؤساء في قدرتي وامكاناتي .. وأهم اسهام اعتقد انني اضفته على الصفحة الأدبية كان الاهتمام بالشباب من الأدباء والشعراء .. فقدمت الصفحة ٥٢ شابا من مختلف فروع الأدب الى القراء وأقيمت المسابقات التي شارك في تقديم جوائزها كبار الكتاب والشعراء ..

*** بعيدا عن النجاح والشهرة والأضواء .. كيف تتعاملين في بيتك كزوجة وأم ؟..**

ـ أعتقد أن دوري كأم مهم جدا بالنسبة لي .. بدليل انني لم اكتب بعد « أريد حلا » لمدة طويلة بسبب ولادة ابني « محمد » وكانت ابنتي « رشا » عندها سنة ونصف رغم أن الفيلم عمل لي شهرة كبيرة كان المفروض أن أكتب بعدها مباشرة حتى استغل ما أحدثه فيلمي الأول من

نجاح .. ولكنى بقيت حوالى عشر سنوات مكتفية بعملى الصحفى فى جريدة الأخبار وأعمل فى الصباح فقط .. وأعطى كل وقتى بعد الظهر لأولادى حتى سفرياتى للخارج أعتذرت عنه حتى كبرا وأصبحا يعتمدان على نفسيهما ، فأنا أؤمن أنه ليس هناك شيء يعادل دورى كأم ، وهذا شيء ليس ضد المرأة العاملة ـ كما يتصور البعض ـ فبعض الدول الاشتراكية مثل المجر تعطى للمرأة اجازة بمرتب كامل لمدة سنتين حتى يكبر مولودها قليلا ويستطيع الاعتماد على نفسه .. وفى بلد مثل السويد يعطون للزوج ايضا اجازة وضع باعتبار انه يشارك الأم فى تحمل الأعباء الجديدة .. فهم يتعاملون مع الأسرة كوحدة واحدة ، فالابن ليس ابن الأم وحدها ، ولكنه ابن المجتمع كله ولذلك فلابد من حمايته ..

وأنا أتعجب من سخرية الرجال عندنا عندما تقول الأم أن ابنها مريض وتريد اجازة ويعتبرون هذا دليلا على عدم كفاءة المرأة فى العمل .. وهذا ما يدعو بعض النساء عندنا الى التشدق بأقاويل عجيبة منها « شغلى أولا » وأنا أقول « أولادى أهم » .. فمهما ألفت كتابا عظيما أو عملت تحقيقا ممتازا .. فلن يساوى كل ذلك معاناة طفل من دم ولحم ..

* * *





الملكة فريدة :

حكاية ملكة

تنازلت عن العرش !



كانت ملكة ..متربعة على العرش .. واختارت بإرادتها أن تنزل عن هذا العرش .. بل وأصرت على ذلك !!

كانت تنعم بالجاه والعز .. ترتدى الماس واللؤلؤ وأثمن المجوهرات وأحجار الكريمة .. يحيطها الخدم والحشم .. والوصيفت .. تأمر فتطاع .. لا تتمنى شيئا لأن لديها أكثر ما تتمناه أى امرأة فى الدنيا .. ووسط كل هذا .. أضت القنبلة .

الماس الكاذب .. ولم تصمد على حيل ومناورات الزوج الذى تجاهل وجودها .. وكان له عشرات العشيقات ..

فكيف بدأت فصول هذه القصة العظيمة .. وكيف توالت أحداثها ؟.

كان اسمها صافيناز يوسف ذوالفقار .. من مواليد الاسكندرية عام ١٩٢١ .. وكان والدها يحمل لقب باشا خلف اسمه .. أما والدتها فكانت وصيفة للملكة « نازلى - الأم - والدة الملك فاروق ..

تلقت صافيناز تعليمها فى مدرسة نوتردام دى سيمون بالاسكندرية التى أمضت بها ثمانى سنوات .. وذات يوم اصطحبتها أمها الى القصر .. وتعرفت يومها على شقيقات الملك فاروق .. ومن هنا كانت نقطة التحول فى حياتها .. فقد خطبها فاروق فى أغسطس من عام ١٩٣٧ .. وكان عمرها ١٦ سنة .. وتزوجها فى ٢٠ يناير ١٩٣٨ عندما بلغت ١٧ عاما ..

وكما غير الملك الوسيم مجرى حياة صافيناز يوسف ذوالفقار .. غير أيضا اسمها .. ليوافق تقليد العائلة الملكية .. بأن يبدأ أسماء أفرادها بحرف الفاء .. فغير اسم الملكة الصغيرة ليصبح « فريدة » بدلا من « صافيناز » ..

وبدأت حياتها معه بأيام وليالى .. كانت من ليالى ألف ليلة وليلة .. ولتنتهى الأيام والشهور الأولى التى ذاقت فيها الملكة حلو الدنيا كله مرة واحدة .. لتبدأ سنوات العذاب وليالى الضنى والاكتئاب .. فعندما انتهى شهر العسل .. فوجئت الملكة وهى فى عز احساسها بالنشوة .. وامتلائها بالفخر والكبرياء ، فوجئت رغم تربعها على عرش الملك فى القصر .. بأنها فقدت هذه المكانة فى قلب فاروق !.

وان قلب الملك الوسيم أشبه بفندق كبير .. يمتلىء بالنزيلات الجميلات من مختلف الأنواع والألوان والأشكال .. وهى على أحسن تقدير لا تملك الا الجناح الملكى داخل هذا القلب الغريب !.

وبدأ الفصل الثانى من فصول القصة .. عندما قررت الملكة الطلاق بعد عشر سنوات من التحمل والصبر ولوعة القلب الذى أشعلته الغيرة القاتلة ..

وآثار طلب الملكة دهشة الجميع .. فكيف يهون عليها العرش ؟

وكيف تنزل بنفسها من فوق هذا المقعد الذى تتطلع اليه كل جميلات مصر ؟ . خاصة أن الملك فاروق كان متمسكا بها رغم كل مغامراته النسائية . . وطلب من الكثيرين التوسط له عندها بالعدول عن قرارها . . ولكن . . دون جدوى . .

والطلب الغريب الذى طلبه الملك فاروق من شيخ الأزهر كان أن يوضع شرط فى وثيقة الطلاق ينص على عدم امكان زواجها من أحد بعد الملك . .

وطبعا رفض شيخ الأزهر ذلك . . وقال . . ان حقها فى الزواج بعد الطلاق قائم . . وأخيرا تم الطلاق . .

وكان الفصل الثالث . . من فصول القصة الغريبة . . الذى بدأ بحصول الملكة الشابة على الطلاق . . وانتقالها الى بيت أبيها فى « الهرم » حيث عاشت مع أحزانها ودموعها . . وحيدة . .

وأخرج الحزن موهبة الفن من أعماقها . . فوجدت فى ريشتها ومع ألوانها ، الصديق والأنيس . . وشعرت مع لوحاتها وأعمالها الفنية أنها وجدت فى هذا الجماد غير الناطق . . ما لم تجده فى كثير ممن حولها من البشر . . فمع لوحاتها وألوانها . . وجدت نفسها تحكى . . وريشتها تجسد مشاعر ورؤى . . خرجت من أعماقها . . لتصنع فنا راقيا . . كان طبيعيا أن يولد من رحم المأساة التى عاشتها فى ربيع شبابها . .

حتى بناتها . . ثمرة هذا الزواج الملكى الحزين . . الأميرات : فريال . . وفوزية . . وفادية . . عشن بعيدا عنها . . اشترى لهن الملك فاروق قصرا فى لوزان بسويسرا . . وبقيت هى فى مصر . . الى أن قامت الثورة . . فعرض عليها الملك أن تقيم فى نابولى بايطاليا . . ولكنها

رفضت .. ثم هاجرت الى لبنان .. وبعدها انتقلت الى باريس ثم الى لوزان سنة ١٩٦٣ ..

وانطلقت الملكة « فريدة ».. التى رفضت الزواج مرة أخرى فى عالم الفن .. وشجعها خالها الفنان السكندرى محمود سعيد على ذلك فأقامت معارض كثيرة فى باريس .. والقاهرة ..

وتأثرت الملكة فريدة بالبيئة المصرية .. وفى آواخر السبعينات أبدت رغبتها فى العودة الى مصر .. والاقامة فيها بصفة دائمة .. وبالفعل تركت باريس وعادت لتقيم فى شقة على النيل بحى المعادى ..

وكانت الملكة تعتمد فى حياتها على عملها .. وعلى ما تتكسبه من بيع لوحاتها .. حتى كان الفصل الأخير فى حياتها .. الذى لم يكن أقل ميلودراما من كل فصول حياتها .. بل لعله كان أكثر هذه الفصول مأساوية ..

بدأ هذا الفصل الحزين .. بتسلل المرض اللعين الى جسد المرأة التى لم تنعم كثيرا بحياتها .. بل ضربت مثلا للانسانة التى حصلت على كل شيء .. ثم فقدت كل شيء ..

أصيبت الملكة بلوكيميا فى الدم .. وعندما اشتد عليها المرض فى الفترة الأخيرة قرر الرئيس حسنى مبارك أن تتحمل الدولة جميع نفقات العلاج فى فرنسا .. وبعد فترة لم تسترح للعلاج ، وقررت الذهاب الى النمسا للعلاج بالأعشاب ..

عادت الملكة الى مصر لأن حالتها لم تتحسن .. واستدعت نقل دم فدخلت مستشفى المعادى للقوات المسلحة .. وتمت عملية نقل الدم ..

ثم سافرت الى الولايات المتحدة الأمريكية لحضور مؤتمر دولى للفنانين .. وعرضت نفسها هناك على الأطباء .. الذين اكتشفوا اصابتها بتلوث كبدى وبائى نتيجة لنقل الدم .. ونصحها الأطباء فى أمريكا بالعودة الى مصر والعلاج فيها .. وعادت الى مصر ودخلت مستشفى الصفا ..

أما المواقف الانسانية التى رسمتها الملكة « فريدة » بتصرفاتها التى تمتلىء بالنبل والكبرياء خلال هذه الفترة العصيبة من حياتها .. فهى كثيرة .. مثلا حاول عدد من الأثرياء العرب والمصريين أن يتبرعوا لعلاجها مهما تكلف .. وكانت الملكة ذات الكبرياء .. عزيزة النفس .. فلم تقبل أى مليم من أحد .. وطلبت أن تتولى الدولة علاجها .. وهذا ما تم بالفعل ..

وعين مجموعة من الأطباء للاشراف على علاجها تحت رئاسة الدكتور ياسين عبدالغفار .. وكانت المفاجأة الكبيرة التى اكتشفها فريق الأطباء .. أن الملكة تعالج من حالة اكتئاب نفسى لازمها ٢٠ عاما ، واتضح أن علاج الاكتئاب يتعارض بشدة مع علاج الكبد الوبائى .. وصمم الأطباء خاصة د . ياسين عبدالغفار ود . عادل صادق على ضرورة وقف علاج الاكتئاب لاعطاء فرصة لعلاج الكبد الوبائى ليعطى أثره ..

وفعلا حدث تحسن ملحوظ .. وتراجع مرض الكبد .. لكن الحالة العصبية والاكتئاب زدات حدتهما .. فطلبت الملكة العودة الى منزلها .. وترك المستشفى ..

وافق د . ياسين عبدالغفار على طلبها .. أملا فى أن يساهم جو المنزل فى تهدئة حالتها العصبية .. وتحسين حالتها المعنوية والتى تؤثر تأثيرا ايجابيا على العلاج ..

وكانت الملكة قد عادت منذ اسابيع قليلة من سويسرا بعد أن قضت فى المركز الجامعى بلوزان بسويسرا شهرين للعلاج .. شعرت أنها تعيش آخر أيامها وأصرت على العودة الى مصر لتموت فى بلدها .. رغم اصرار بناتها على عدم سفرها خوفا على صحتها .. التى كانت تزداد سوءا يوما بعد يوم ..

وبعد يومين من وصولها الى القاهرة تأخرت حالتها .. فدخلت مستشفى النيل بدراوى بالمعادى .. كان معها شقيقها سعيد ذوالفقار وزوجته وأولادهما .. وكانت بنات الملكة يتابعن من خلال التليفون تطورات صحة الملكة فريدة .. أمهن من سويسرا ..

وفى احدى المكالمات .. طلبت الملكة أن ترى الأميرات الثلاثة قبل أن تموت .. ولم تستطع بناتها الانتظار .. فاستقللن أول طائرة من سويسرا الى القاهرة ..

وعندما وصلن .. كانت هى قد دخلت فى غيبوبة ..

ويروى من كانوا حولها هذه اللحظات القاسية .. فيقولون كانت آخر جملة حاولت أن تكملها هى الشهادة : « لا إله إلا الله .. محمد رسول الله ».. وعندما جاءت بناتها .. لم تراهن .. ولكنها فتحت عينيها وهى فى الغيبوبة .. وأغمضتهما على الفور ..

وكأنها تقول لهن : « وداعا »..

* * *

محتويات الكتاب

ص

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٨/ ٨٥٤٥

طبع بمطابع الأخبار





لم تكن رحلتى شاقة .. بل كانت ممتعة بكل المقاييس ..

ورغم الوقت الذى استغرقته .. وصعوبة الطريق !! أحيانا بين دهاليزها .. والمفاجآت التى كانت تظهر !! فجأة .. بين الحين والحين .. وكأنها لافتة كبيرة مكتوب عليها « ممنوع الاقتراب أو التصوير » .. تحاول سد الطريق !

رغم كل ذلك .. فلا شك انها كانت رحلة شائقة .. مثيرة مع كل المحظورات التى كان لابد من إجتيازها .. ووجود مناطق ممنوعة كان على اختراقها .. وعديد من الدوائر الحمراء التى كان يجب تخطيها .

متاعب الرحلة .. فقد استمتعت بها بتحمل هذه المشاق .. واكثر !!